جامعة الأزهر
كلية اللغة العربية بأسيوط
المجلة العلمية

الخيل في شعر الخنساء
صورة البطولة وصدى الحزن

Horses In Al-Khansaa's Poetry: The Image Of Heroism And The Echo Of Sadness

إعداد
د/ مُحَمَّد عَطَا مُحَمَّد أَحْمَد
مدرس الأدب والنقد في كلية اللغة العربية بجرجا

(العدد الرابع والأربعون)
(الإصدار الأول-فبراير)
(الجزء الأول (١٤٤٦هـ /٢٠٢٥م)
الترقيم الدولي للمجلة (ISSN) *2536- 9083*
رقم الإيداع بدار الكتب المصرية: ٢٠٢٤/٦٢٧١م

الخيل في شعر الخنساء صورة البطولة وصدى الحزن

محمد عطا محمد أحمد

قسم الأدب والنقد، كلية اللغة العربية للبنين، جرجا، جامعة الأزهر، جمهورية مصر العربية.

البريد الإلكتروني: *mohammedahmed2359.el@azhar.edu.eg*

الملخص:

تناول هذا البحث دراسة الخيل في شعر الخنساء، وقد قمتُ بدراسة هذا الموضوع لطرافته؛ لأنه يتناول دراسة الخيل في شعر امرأة وهي الخنساء، فينقل لنا رؤية المرأة للخيل، ويكشف لنا مدى معرفتها بالخيل وصفاتها، ويهدف هذا البحث إلى الكشف عن هذه الظاهرة في شعر الخنساء، وكيفية تناولها لها.

وقد اعتمدتُ في هذه الدراسة على المنهج التحليلي، ووقع اختياري على هذا المنهج خاصة؛ لأستطيع مِن خلاله الكشف عن مكنونات النص الشعري، والوقوف على كيفية تناول الخنساء للخيل.

وقد جاء البحث في مقدمة، وتمهيد، ومبحثين، وخاتمة، وفهرس المصادر والمراجع وفهرس الموضوعات، تناولت في المقدمة أسباب اختيار الموضوع، وأهميته، والهدف منه، والدراسات السابقة، ومنهج البحث، وخطة الدراسة، وبَينتُ في التمهيد مكانة الخيل عند العرب، ثم تحدثت –بإيجاز– عن الشاعرة الخنساء، وتناولت في المبحث الأول أنماط حديث الشاعرة عن الخيل، وفي المبحث الثاني تحدثت عن الخيل والتشكيل الفني للقصيدة، وجاءت الخاتمة مشتملة على أهم النتائج والتوصيات.

وقد توصلت مِن خلال هذا البحث إلى عدة نتائج أهمها: كثرة وتنوع وصف الخنساء للخيل، وإلمامها بكثير من صفاتها، فتارة تصف نجابة هذه الخيل، وتارة تدعو هذه الخيل لتشاركها البكاء على صخر، وتارة تصف خيل العدو، وقد استطاعت الخنساء أن تُبرز تلك المعاني مستعينة بأدواتها الفنية.

الكلمات المفتاحية: الخيل، شِعر، الخنساء، صورة، البطولة، صدى، الحزن.

Horses in Al-Khansaa's poetry: the image of heroism and the echo of sadness

Mohamed Atta Mohamed Ahmed
Department of Literature and Criticism, Faculty of Arabic Language for Boys, Girga, Al-Azhar University, Egypt.

Email: *mohammedahmed2359.el@azhar.edu.eg*

Abstract

This research had dealt with the study of horses in Al-Khansaa poetry, and I studied this topic because of its uniqueness. As it dealt with the study of horses in the poetry of a woman, namely Al-Khansaa, it conveyed to us the woman's view of horses, and revealed to us the extent of her knowledge of horses and their characteristics. This research aimed to reveal this phenomenon in the poetry of Al-Khansaa, and how she dealt with it. In this study, I relied on the analytical method, and I chose this method in particular. Through it, I revealed the hidden contents of the poetic text and found out how Al-Khansaa handled horses. The research consisted of the introduction, a preface, two sections, conclusion, the index of sources, references and the index of topics. In the introduction, it dealt with the reasons for choosing the topic, its importance, its purpose, previous studies, the research methodology, and the study plan. In the preface, I explained the status of horses among the Arabs. I spoke briefly about Al-Khansaa. In the first section, I discussed the patterns of the poet's talk about horses. In the second section, I talked about horses and the artistic composition of the poem. The conclusion included the most important findings and recommendations. Through this research, I reached several results: The abundance and diversity of Al-Khansaa's descriptions of horses, and her familiarity with many of their characteristics. Sometimes she described the survival of these horses, sometimes she invited these horses to join to her in crying on Sakhr, and sometimes she described the enemy's horses. Al-Khansaa was able to highlight these meanings with the help of her artistic tools.

Keywords: *Horses, Poetry, Khansaa, Image, Heroism, Echo, Sadness.*

المقدمة

إنَّ مَن يُطالع دواوين الشعر العربي خاصة في العصور الماضية يجد حديثا طويلا مِن الشعراء عن الخيل، ونظمًا مفصّلا لأوصافها، ولا غرابة في ذلك فقد كانت الخيل رمز القوة، وعُدة الفرسان، وأهم عوامل الانتصار، ولكنَّ الطريف أنَّ يأتي هذا الوصف والتفصيل من شاعرة غلب على شعرها الرثاء، وقد استطاعت الخنساء وصف الخيل –في كثير من مرثياتها– وصفا دقيقا يدل على أنَّ حديثها عن الخيل لم يأتِ عرضا، ولم يكن حديث العابر، وإنما كان حديث الشغوف بها، العليم بأحوالها.

أسباب اختيار الموضوع:

دفعني لاختيار هذا الموضوع عدة أمور منها:

- جدة الموضوع وطرافته فلم أقف –فيما قرأت– على بحث تناول حديث شاعرة عن الخيل.
- كثرةُ وتنوع حديث الخنساء عن الخيل.
- منزلة الخنساء الشعرية الكبيرة فهي مِن أبرز الشواعر على مر الزمان.

مشكلة البحث: تكمن مشكلة هذا البحث في توضيح مكانة الخيل عند الخنساء، وإظهار عنايتها بذكر الخيل وصفاتها.

الهدف من البحث: يهدف هذا البحث إلى إلقاء الضوء على مكانة الخيل ومنزلتها وصورتها عند واحدة من أهم شواعر العرب وهي الخنساء.

منهج البحث:

اعتمدت في هذه الدراسة على المنهج التحليلي الفني، مع الاستعانة ببعض المناهج الأخرى عند الحاجة إليها كالمنهج النفسي والمنهج التاريخي؛ لأستطيع الوقوف على رؤية الخنساء عن الخيل، والكشف عن مكنونات النص الشعري عندها.

الدراسات السابقة:

تعددت الدراسات الأدبية حول الخيل عند الشعراء؛ نظرا لكثرة حديث الشعراء عن الخيل، ومِن هذه الدراسات:

- الخيل والإبل في الشعر الجاهلي لخلدون الكناني بحث منشور بمجلة المجمع العلمي العربي المجلد ٢٢، الجزء ٣، ٤ عام ١٩٤٧ م.
- الخيل في الشعر الجاهلي رسالة (دكتوراه) للباحث حمود بن خلفان الدغيشي – جامعة مؤتة– عام ٢٠٠٥ م.
- صورة الخيل في الشعر الأندلسي في عصري الطوائف والمرابطين رسالة ماجستير للباحث عمر فارس الكفاوين جامعة مؤتة ٢٠٠٦ م.
- صورة الخيل في شعر أبي دؤاد الإيادي دراسة موضوعية فنية بحث للدكتورة/ سوسن محمد بلتاجي بحث منشور في حولية كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بالإسكندرية العدد ٣٥ عام ٢٠١٩ م.

هذا بالنسبة للدراسات التي تناولت الخيل، أما بالنسبة للخنساء فهناك عدة دراسات تناولت شعرها، ومِن هذه الدراسات:

- الخنساء بنت عمرو شاعرة الرثاء في العصر الجاهلي للدكتور علي نجيب عطوي– طبعة دار الكتب العلمية– بيروت– الطبعة الأولى: ١٤١٣ هـ/ ١٩٩٣ م.
- الحرب وأدواتها في شعر الخنساء للدكتور عمر لحسن بحث منشور في مجلة المجلس الأعلى للغة العربية العدد ٢٧ عام ٢٠١١ م.
- البكاء في شعر الخنساء للدكتورة سهام كاظم النجم بحث منشور في مجلة كلية التربية للبنات جامعة الكوفة العدد ١١ المجلد السادس عام ٢٠١٢ م.
- الصوت والإيقاع في شعر الخنساء للدكتورة ليلى السبعان بحث منشور في مجلة كلية الآداب جامعة الملك سعود العدد الثاني مجلد ٢٨ عام ٢٠١٦م.

إلى غير ذلك مِن الدراسات التي تناولت شعر الخنساء، وعلى الرغم مِن تنوع هذه الدراسات إلا أنني لم أجد –فيما وقفت عليه– عملا تناول دراسة الخيل عند الشاعرة، حتى أقرب الأبحاث للموضوع "الحرب وأدواتها في شعر الخنساء" لم يتطرق كاتبه للحديث عن الخيل.

خطة البحث:

اقتضت طبيعة البحث أنْ يُقسّم إلى مقدمة، وتمهيد، ومبحثين، وخاتمة يليها بيان بالمصادر والمراجع، وفهرس الموضوعات.

المقدمة: تناولت فيها أسباب اختيار الموضوع، وأهميته، ومشكلته، والهدف منه، والمنهج المتبع، والدراسات السابقة، وخطة البحث.

التمهيد: بينتُ فيه مكانة الخيل عند العرب، وتحدثت –بإيجاز– عن الخنساء.

المبحث الأول: أنماط حديث الخنساء عن الخيل، وفيه:

المحور الأول: خيل صخر وقومه.

المحور الثاني: خيل العدو.

المحور الثالث: بين خيل صخر وخيل أعدائه.

المبحث الثاني: الخيل والتشكيل الفني للقصيدة، وفيه:

المحور الأول: المعجم الشعري.

المحور الثاني: الخيل والصورة الأدبية.

المحور الثالث: الخيل وموسيقا القصيدة

الخاتمة: وتحوي أهم نتائج البحث.

فهرس المصادر والمراجع، وفهرس الموضوعات.

وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب

التمهيد

١-مكانة الخيل عند العرب:

حازت الخيل مكانة كبيرة عند العرب منذ الجاهلية، وبلغت عندهم منزلة سامقة، وعنوا بها عناية فائقة، وقد ذكر ابن رشيق أنهم "كانوا لا يهنئون إلا بغلام يولد، أو شاعر ينبغ فيهم، أو فرس تنتج"(١)

وبلغت الخيل عند بعض العرب منزلة الأبناء بل إنها تجاوزتها عند بعضهم، وما هذا إلا لفضلها وشدة حاجتهم إليها في الكر والفر والصيد والجد واللهو يقول زيد الخيل في فرسه الهطّال: (٢) (الوافر)

أُقَـــرِّبُ مـــربَطَ الهَطـــالِ إنّـــي ∴ أَرى حَربًـــا سَـــتَلقَحُ عَـــن حِيـــالِ

أُسَـــوّيهِ بِمكنـــفَ إذ شَـــتَونا ∴ وَأُوثِـــرُه عَلـــى جُـــلِّ العِيـــالِ

بل بلغ الأمر عند بعض العرب أن يفتدوا خيلهم بأنفسهم يقول ابن أم حزنة العبدي في فرسه عريب: (٣) (المتقارب)

فـــإنَّ عريبًـــا وَإنْ ســـاءَني ∴ أحَـــبُّ حَبيـــبٍ وَأَدنـــى قَريـــب

---

(١) العمدة لابن رشيق تحقيق الشيخ محمد محيي الدين عبد الحميد ١/ ٦٥ – طبعة دار الجيل – الطبعة الخامسة: ١٤٠١ هـ /١٩٨١ م.

(٢) شعر زيد الخيل الطائي جمع وتحقيق ودراسة د/ أحمد مختار البزرة ص ١٣٨ –طبعة دار المأمون– بيروت– الطبعة الأولى: ١٤٠٨ هـ/ ١٩٨٨ م. ومكنف هو ابن الشاعر وكان يُكنى به.

(٣) أسماء خيل العرب وأنسابها وذكر فرسانها للحسن بن أحمد بن محمد الأعرابي تحقيق: د/ محمّد علي سلطاني ص ١٧ –طبعة دار العصماء– دمشق – الطبعة الأولى: ١٤٢٧ هـ/ ٢٠٠٧ م.

سَـــأَجعَلُ نَفســـي لَـــهُ جُنَّـــةً ∴ بِشـــاكي السِـــلاحِ نَهيـــكٍ أَريـــب

وكان العربي يحفظ نسب خيله يقول صاحب كتاب الخيل: "ولم يكن اهتمامهم بأنسابها لصيانة صفاتها المتوارثة بأقل من عنايتهم بها، حتى كان حفظ أنسابها من الأمور التي قلّ أن يجهلها فيهم أحد، لا يقتصرون في ذلك على معرفة الآباء خاصة، كما هو شأنهم في أنسابهم، بل إن اهتمامهم بأمهات الخيل لا يقل عنه في الآباء لما لهنّ من دور في نقل صفاتهن المحمودة كذلك إلى الأبناء"(١)

ولما أنعم الله على البشرية بالإسلام، وأرسل إليها النبي العدنان -ﷺ- زادت العناية بالخيل فأقسم الله بها في كتابه فقال -ﷻ-: ﴿ وَٱلۡعَٰدِيَٰتِ ضَبۡحٗا ۝١ فَٱلۡمُورِيَٰتِ قَدۡحٗا ۝٢ فَٱلۡمُغِيرَٰتِ صُبۡحٗا ۝٣ فَأَثَرۡنَ بِهِۦ نَقۡعٗا ۝٤ فَوَسَطۡنَ بِهِۦ جَمۡعًا ۝٥﴾ (٢) وأمر الله عباده الموحدين بالعناية بها وإعدادها إعدادا جيدا فقال- ﷻ-: ﴿ وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسۡتَطَعۡتُم مِّن قُوَّةٖ وَمِن رِّبَاطِ ٱلۡخَيۡلِ تُرۡهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمۡ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمۡ لَا تَعۡلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعۡلَمُهُمۡۚ﴾(٣)

وقد رغَّب النبي -ﷺ- في اقتناء الخيل وحث على الاهتمام بها، رُوي عَنْ جَرِيرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ، قَالَ: رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ -ﷺ- يَلْوِي نَاصِيَةَ فَرَسٍ بِإِصْبَعِهِ، وَهُوَ يَقُولُ: "الْخَيْلُ مَعْقُودٌ بِنَوَاصِيهَا الْخَيْرُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ"(٤)

---

(١) أسماء خيل العرب وأنسابها وذكر فرسانها للحسن بن أحمد بن محمد الأعرابي ص ٢٠.

(٢) سورة العاديات من الآية (١ -٥).

(٣) جزء من الآية ٦٠.

(٤) صحيح الإمام مسلم، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ٣/ ١٤٩٢ -طبعة دار إحياء التراث العربي – بيروت.

وكان للنبي -ﷺ- عدد من الأفراس اتُّفق على بعضها واختلف في بعضها الآخر يقول الدميري: كان للنبي -ﷺ- أفراس منها السكب، وهو أول فرس غزا عليه رسول الله -ﷺ-، وسبحة هو الَّذي سابق عليه -ﷺ- فسبق ففرح بذلك، والمرتجز سمي بذلك لحسن صهيله، ولزاز، قال السهيلي: ومعناه أنه لا يسابق شيئا إلا لزه أي أثبته، والظرب، واللحيف، قال السهيلي: كأنه يلحف الأرض بجريه، ويقال فيه اللخيف بالخاء المعجمة، والورد أهداه له تميم الداري، هذه السبعة متفق عليها، وقيل: كان له -ﷺ- غيرها، وهي الأبلق وذو العقال والمرتجل وذو اللمة والسرحان واليعسوب والبحر وكان كميتا، والأدهم، وملاوح، والطِّرف، والسحا، والمراوح، والمقدام، ومندوب، والضرير فهذه خمسة عشر فرسا مختلف فيه.(١)

وقد صاحب هذه العناية الكبيرة بالخيل حرص كبير من الأدباء على ذكر الخيل وأوصافها وأسمائها وأنسابها، بل إنَّ بعض العرب إلى يومنا هذا ما زالوا يولون الخيل عناية كبيرة خاصة أولئك العرب المقيمون في الصحراء وفي صعيد مصر وريفها.

٢- التعريف بالخنساء:

أولا: اسمها ونسبها:

هي تماضر بنت عَمْرو بْن الشريد بن رباح بن ثعلبة بن عصيّة بْن خفاف بْن امرئ القيس بْن بهثة بْن سُليم.(٢) وتكنى أم عمرو، ولقبت بالخنساء لجمالها كناية عن الظبية.(٣)

---

(١) يُنظر حياة الحيوان الكبرى للدميري ٢/ ٢٩٧ وما بعدها بتصرف – طبعة دار الكتب العلمية- بيروت – الطبعة الثانية: ١٤٢٤ هـ.

(٢) يُنظر الاستيعاب في معرفة الأصحاب لأبي عمر يوسف بن عبد الله النمري القرطبي. تحقيق: علي محمد البجاوي ٤/ ١٨٢٧ -طبعة دار الجيل – بيروت – الطبعة الأولى: ١٤١٢ هـ/ ١٩٩٢ م.

(٣) يُنظر زهر الآداب وثمر الألباب لأبي إسحاق إبراهيم بن علي الحُصري القيرواني ٤/ ٩٩٨ -طبعة دار الجيل- بيروت. الخَنَسُ: فِي الأَنف تأَخر الأَرنبة فِي الْوَجْهِ وقِصَرُ الأَنف، وَقِيلَ: هُوَ تأَخر الأَنف عَنِ ←←←

ثانيا: مولدها ونشأتها:

لم تذكر كتب التراجم والتاريخ الوقت الَّذي وُلِدت فيه الخنساء شأنها في ذلك شأن الكثير ممن ولد في الجاهلية، وقد نشأت الخنساء في كنف أبيها عمرو بن الشريد وأخويها صخر ومعاوية وهم سادات قومهم بني سُليم، فقد كان أبوها يأخذ بيدي ابنيه صخر ومعاوية ويقول: أنا أبو خيرى مضر؛ فتعترف له العرب بذلك. (١)

وكانت الخنساء صاحبة شخصية قوية، تعتز بنفسها وبقبيلتها، ولما خطبها دريد بن الصّمّة، ردّته وقالت: أتراني تاركة بنى عمّى كأنّهم عوالي الرياح، ومرتثّة شيخ بنى جشم، فخطبها رواحة بن عبد العزّى السّلمىّ، فولدت له عبد الله، ثم خلف عليها مرداس بن أبى عامر السّلمىّ، فولدت له زيدا ومعاوية وعمرا. (٢)

وقدمت الخنساء على النبي ﷺ مع قومها من بني سُليم، فأسلمت معهم، فذكروا أنّ رسول اللَّه ﷺ كان يستنشدها ويعجبه شعرها، وكانت تنشده، وهو يقول: هيه يا خناس، ويومئ بيده. (٣)

وكانت الخنساء تقول الأبيات اليسيرة، فلما أصيبت بأخيها صخر جدت وأجادت، وجمعت نفسها وشهرت. (٤)

→→→

الْوَجْهِ مَعَ ارْتِفَاعٍ قَلِيلٍ فِي الأَرنبة، والخُنُسُ مأْوى الظِّبَاءِ، والخُنُسُ: الظِّبَاءُ أَنفُسُها. يُنظر لسان العرب لابن منظور ٦/ ٧٢ وما بعدها –مطبعة دار صادر – بيروت –الطبعة الثالثة– عام ١٤١٤ هـ.

(١) يُنظر الشعر والشعراء لابن قتيبة ١/ ٣٣٥ – طبعة دار الحديث – القاهرة – ١٤٢٣ هـ.

(٢) يُنظر السابق ١/ ٣٣١.

(٣) يُنظر الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر تحقيق عادل أحمد عبد الموجود وعلى محمد معوض ٨/ ١١٠ – طبعة دار الكتب العلمية – بيروت– الطبعة الأولى: ١٤١٥ هـ.

(٤) يُنظر التعازي للمبرد تحقيق: إبراهيم محمد حسن الجمل ص ١١٩ –طبعة نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع– دون ذكر رقم الطبعة وسنة الطباعة.

وحضرت الخنساء بنت عمرو السلمية حرب القادسية ومعها بنوها أربعة رجال، فذكر موعظتها لهم وتحريضهم على القتال، وعدم الفرار، وفيها: إنكم أسلمتم طائعين، وهاجرتم مختارين، وإنكم لبنو أب واحد وأم واحدة، ما هجنت آباءكم، ولا فضحت أخوالكم، فلما أصبحوا باشروا القتال واحدا بعد واحد حتى قتلوا. (١)

ثالثا: منزلتها الشعرية:

بلغت الخنساء منزلة عالية بين الشعراء والشواعر وعرف قدرها أهل الأدب منذ الجاهلية ويكفيها قول النابغة بعدما سمع شعرها: والله لولا أنّ أبا بصير أنشدني لقلت إنّك أشعر الجنّ والإنس. (٢)

ويقول عنها صاحب بلاغات النساء: أشعر النساء في الجاهلية والإسلام خنساء وهي تماضر بنت عمرو بن الشريد السلمية ولها أشعار مشهورة وأخبار مذكورة. (٣)

ويقول صاحب الاستيعاب: وَأجْمع أهل الْعلم بالشعر أَنه لم يكن امْرَأَة قبلهَا وَلَا بعْدهَا أشعر مِنْهَا. (٤) ويقول أحد النقاد: أغلب علماء الشعر على أنه لم تكن امرأة قبل الخنساء ولا بعدها أشعر منها، ومن فضَّل ليلى الأخيلية عليها لم ينكر أنها أرثى النساء، وكان بشار يقول: لم تقل امرأة شعرًا إلا ظهر الضعف فيه، قيل: وكذلك الخنساء؟ قال: تلك التي غلبت الفحول، ولم يكن شأنها عند شعراء الجاهلية أقل منه عند شعراء الإسلام (٥)

---

(١) يُنظر الإصابة لابن حجر ٨/ ١١١.

(٢) يُنظر الشعر والشعراء لابن قتيبة ١/ ٣٣٢.

(٣) يُنظر بلاغات النساء لأبي الفضل أحمد بن أبي طاهر ابن طيفور صححه وشرحه: أحمد الألفي ص ١٦٧ – مطبعة مدرسة والدة عباس الأول– القاهرة – ١٣٢٦ هـ/١٩٠٨ م.

(٤) يُنظر الاستيعاب في معرفة الأصحاب لأبي عمر القرطبي. تحقيق: علي محمد البجاوي ٤/ ١٨٢٧.

(٥) يُنظر جواهر الأدب في أدبيات وإنشاء لغة العرب لأحمد بن إبراهيم بن مصطفى الهاشمي ٢/ ١٤٠ – طبعة مؤسسة المعارف– بيروت.

ولو أردت تتبع ما قيل في فضل الخنساء وشاعريتها، لعجزت عن إحصائه، ولعل خير دليل على مكانتها وقوة شعرها كثرة الدراسات التي تناولت شعرها قديما وحديثا.

رابعا: وفاتها:

لم تحدد كتب التراجم تاريخ وفاة الخنساء تحديدا دقيقا، والثابت أنها عاشت بعد استشهاد سيدنا عمر بن الخطاب -ﷺ- والدليل على ذلك ما جاء في الوافي بالوفيات من أنَّ سيدنا عمر -ﷺ- كان يُعْطي الخنساء أرزاق أَوْلَادهَا الْأَرْبَعَة لكل وَاحِد مِائَتي دِرْهَم حَتَّى قبض.(١)

وذهب غير واحد من المؤرخين والأدباء إلى أنها توفيت عام ٢٤ من الهجرة،(٢) وذهب بعضهم إلى أنها ماتت في خلافة معاوية -ﷺ- سنة خمسين من الهجرة.(٣)

وأيا كان تاريخ وفاتها فقد رحلت الخنساء تاركة أشعارا ما زالت محل اهتمام الأدباء والباحثين حتى يومنا هذا.

---

(١) يُنظر الوافي بالوفيات لصلاح الدين الصفدي تحقيق أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى ١٠/ ٢٤٤ – طبعة دار إحياء التراث – بيروت- عام النشر: ١٤٢٠ هـ- ٢٠٠٠ م.

(٢) يُنظر الأعلام للزركلي ٢/ ٨٦ -طبعة دار العلم للملايين- الطبعة الخامسة عشر- عام ٢٠٠٢ م، ومعجم المؤلفين عمر رضا كحالة ٣/ ٩٢ -دار إحياء التراث العربي- بيروت.

(٣) يُنظر مقدمة أنيس الجلساء في شرح ديوان الخنساء ص ٢٣ للويس شيخو- المطبعة الكاثوليكية- بيروت- الطبعة الأولى- عام ١٩٨٦ م.

المبحث الأول

أنماط حديث الخنساء عن الخيل

إنَّ المتصفح ديوان الخنساء يتبين له أنَّ الشاعرة أفردت مساحة جيدة للحديث عن الخيل، وإنْ كان حديثها عن الخيل جاء أغلبه في إطار رثاء أخيها صخر إلا أنَّه جاء ثريا متنوعًا؛ وأكثر حديثها عن الخيل حديثها عن خيل أخيها صخر خاصة وخيل قومها عامة، ثم يأتي بعد ذلك حديثها عن خيل أعداء أخيها، وربما تداخل حديثها عن خيل أخيها مع حديثها عن خيل أعدائه، وسأبين هذا من خلال المحاور الآتية:

المحور الأول: **خيل صخر وقومه**:

لم يكن حديث الخنساء عن خيل أخيها صخر خاصة وخيل قومها بني سُليم عامة حديث المتعجل العابر، وإنما كان حديث المتأني الوئيد، ولم يجرِ الحديث أيضا على نسق واحد وإنما جاء متنوعا، فتارة تذكر بكاء الخيل على فارسها القتيل، وتارة تطلب من الخيل أنْ تبكي فارسها، وتارة تذكر قوة هذه الخيل وإعانتها فرسانها لبلوغ غايتهم، وهذا التنوع في الحديث يحمل دلالة على وجود علاقة وثيقة بين الشاعرة والخيل، تقول الخنساء مصورة حزن الخيل على أخيها صخر:[1] (الطويل)

---

(١) ديوان الخنساء ص ٢٨ –طبعة دار صادر– بيروت– الطبعة الثانية ٢٠١٠ م. وأخوها هو صخر بن عمرو بن الشريد، وكان سبب قتله أنه جمع جمعًا وأغار على بني أسد بن خزيمة، فنُذروا به فالتقوا، فاقتتلوا قتالاً شديداً، وطُعن طعنة في جنبه استقل بها، فلما صار إلى أهله تعالج منها، فنتأ من الجرح كمثل اليد فأضناه ذلك حولا ثم عزم على قطع ذلك الموضع، فلما قطعه يئس من نفسه. يُنظر الكامل للمبرد تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم ٤/ ٥١ –طبعة دار الفكر العربي – القاهرة– الطبعة الثالثة ١٤١٧ هـ/ ١٩٩٧ م.

فَيـا عَـينِ بَكّـي لامـرِئٍ طـارَ ذِكـرُهُ ∴ لَـهُ تَبـكِ عَـينُ الراكِضـاتِ السَـوابِحِ[1]

وَكُـلُّ طَويـلِ المَـتنِ أَسـمَرَ ذابِـلٍ ∴ وَكُـلُّ عَتيـقٍ فـي جِيـادِ الصَـفائِحِ[2]

وَكُـلُّ دِلاصٍ كَالأَضـاةِ مُذالَـةً ∴ وكُـلُّ جَـوادٍ بَـيِّنِ العِتـقِ قـارِحِ[3]

تستهل الشاعرة أبياتها بهذا النداء (فيا عين بكّي) فتطلب من عينها أن تزيد وتكثر من البكاء على صخر ذلك الرجل الَّذي بلغ ذكره ما بلغ، وانظر إلى قولها (بكِّي) بصيغة التضعيف، وكأنها تطلب من عينها أن تجود بأقصى ما فيها من دموع، ليناسب هذا البكاء ذلك الميت الكريم الَّذي يبكيه كل من عرفه، ثم تقول: (لَهُ تَبكِ عَينُ الراكِضاتِ السَوابِح) إنها تستثير عينها لتزيد البكاء، وكأنها تخاطب عينها قائلة يا عين أكثري من البكاء؛ لأن صخرا يستحق ذلك ولأنَّ غيركِ يبكيه، وأنت أحق بالبكاء منهم عليه، وقولها: (الراكضات السوابح) اختارت الشاعرة إناث الخيل استئناسا بها؛ لأن الأنثى تأنس بالأنثى ولو كانت من غير بني جنسها، وهذه الخيل ليست كبقية الخيل وإنما هي خيل كريمة فهي راكضات سوابح وكأن هاتين الصفتين من متلازمات هذه الخيل، فهي دائما راكضات سوابح، وكأنها لا تتوقف عن الركض إلى العدو، ثم تعطف الشاعرة قولها:

---

(١) السوابح: جمع السابح، والسَّابِحُ مِنَ الْخَيْلِ الَّذي يَمُدُّ يَدَيْهِ فِي الْجَرْيِ سَبْحاً. يُنظر لسان العرب لابن منظور ٢/ ٤٧١.

(٢) ذَابل: دَقِيقٌ. يُنظر السابق ١١/ ٢٥٥، الصفائح: جمع الصفيحة، والصَّفِيحة: السَّيْفُ الْعَرِيضُ. السابق ٢/ ٥١٣.

(٣) الدلاص: دِرعٌ بَرَّاقَةٌ مَلْسَاءُ. يُنظر السابق ٧/ ٣٧، الأَضَاةُ: الغَدير. السابق ١٤/ ٣٨، القارح: مِنَ الْخَيْلِ هو الَّذِي دَخَلَ فِي السَّنَةِ الْخَامِسَةِ، وَقَدْ قَرِحَ يَقْرَحُ قَرَحاً، وأَقْرَحَ وَهُوَ أَقْرَحُ وَهِيَ قَرْحاءُ؛ وَقِيلَ: الأَقْرَحُ الَّذِي غُرَّته مِثْلُ الدِّرْهَمِ أَو أَقل بَيْنَ عَيْنَيْهِ أَو فَوْقَهُمَا مِنَ الْهَامَةِ. يُنظر السابق ٢/ ٥٦٠.

وَكُـــلُّ طَويـــلِ المَـــتنِ أَســـمَرَ ذابِـــلٍ ∴ وَكُـــلُّ عَتيـــقٍ فـــي جِيـــادِ الصَـــفائِحِ

وَكُـــــلُّ دِلاصٍ كَالأَضـــــاةِ مُذالَـــــةً ∴ وكُـــلُّ جَـــوادٍ بَـــيِّنِ العِتـــقِ قـــارِحِ

أي ويبكي صخرا كل سيف عتيق، وكل رمح دقيق، وكل درع حصينة، ويبكيه كذلك كل جواد كريم، أرأيت كيف استدعت الخنساء مرة أخرى ذكر الخيل التي تبكي صخرا، بعد بيت ونصف من ذكر أدوات الحرب؟!! ثم إنها وصفت الخيل في هذا البيت بصفات غير الصفات الأولى، وقولها: (وكل جواد بّين العتق قارح) أي إنَّ الَّذي يبكي صخرا فرسا ليس كسائر الأفراس وإنما هُوَ فَرَسُ سابِقٌ جَيِّدٌ، وهذا الجواد الكريم أيضا ليس خيلا عتيقا فحسب وإنما هو بيّن العتق ظاهره تظهر نجابته وأصالته لكل من يراه، وهو قارح أي دخل في السنة الخامسة واكتملت قوته ونجابته، وحسُنت هيئته، وهذا التنوع في صفات الخيل التي تبكي صخرا يُشير إلى أنَّ صخرا صاحب أنواعا كثيرة من الخيل بصفات مختلفة تدل كلها على نجابتها وقد أحبته هذه الخيول، فلما مات افتقدته وبكته بكاء حارا جعل الشاعرة تطلب من عينها أن تكون مثل هذه الخيل.

وتذكر الخنساء حال خيل أخيها صخر بعد موته فتقول: [١] (البسيط)

يـا عَـينِ مـا لَـكِ لا تَبكـينَ تَسـكابا ∴ إِذ رابَ دَهـــرٌ وَكـــانَ الـــدَهرُ رَيّابـــا[٢]

فَـــابكي أَخـــاكِ لِأَيتـــامٍ وَأَرمَلَـــةٍ ∴ وَابكـــي أَخـــاكِ إِذا جـــاوَرتِ أَجنابـــا[٣]

وَابكـــي أَخـــاكِ لِخَيـــلٍ كَالقَطـــا عُصَـــباً ∴ فَقَـــدنَ لَمّـــا ثَـــوى سَـــيبًا وَأَنهابـــا[١]

(١) ديوان الخنساء ص ٧.

(٢) تسكابا: من سَكَبَ الدَّمْعَ يَسْكُبُه سَكْباً وتَسْكاباً صَبَّه فانْصَبَّ. يُنظر لسان العرب لابن منظور ١/ ٤٦٩.

(٣) أجنابا: أي غرباء من رَجل جانِب وجُنُب أي غَرِيبٌ. يُنظر السابق ١/ ٢٧٧.

يَعــدو بِــهِ ســابِحٌ نَهــدٌ مَراكِلُــهُ ∴ مُجَلبَــبٌ بِسَــوادِ اللَيــلِ جِلبابــا[٢]

حَتّــى يُصَــبِّحَ أَقوامــاً يُحــارِبُهُم ∴ أَو يُســلَبوا دونَ صَــفِّ القَــومِ أَســلابا

تستهل الخنساء أبياتها بهذا الاستفهام الإنكاري فهي تنكر على عينها عدم الإكثار من البكاء، وقولها: (تسكابا) دليل على أن العين تبكي، ولكنها تريد منها أن تزيد في البكاء، وأن تكثر من إدرار الدموع على صخر، ثم تتوجه الخنساء بالحديث إلى نفسها فتعدد فضائل صخر التي استحق بها هذا البكاء الَّذي لا ينقطع، فهو نصير اليتامى والأرامل الَّذي يكفيهم أمورهم، ويقوم بشئونهم، وهو نصيرها وحصنها الحصين وملجؤها المنيع فلما مات صارت مهيضة الجناح، وربما صارت مطمعا للغرباء إذا فارقت قومها بني سليم، وجاورت آخرين غرباء، وقولها: (أجنابا) جاء مُنكَّرا ليفيد العموم، وكأنَّها في حياة صخر كان لا يشغلها من يجاورها؛ لأنَّ الجميع كان يعرف قدر صخر ومروءته فيحفظون قدر أخته الخنساء، فلما مات صخر أحست بضعفها، وكأن الدرع الَّذي يحميها ويحوطها قد ذهب فَحق لها البكاء، وفي قولها:

وَابكــي أَخــاكِ لِخَيــلٍ كَالقَطــا عُصَــبًا ∴ فَقَــدنَ لَمّــا ثَــوى سَــيبًا وَأَنهابــا

→→→

(١) والقَطَا: طَائِرٌ مَعْرُوفٌ. يُنظر السابق ١٥/ ١٨٩، عصبا: العصبة كلُّ جماعةِ رجالٍ وخيلٍ بفُرْسانِها، أَو جماعةِ طَيْرٍ أَو غَيْرِهَا. السابق ١/ ٦٠٥، سيبًا: السَّيْبُ: العَطاءُ، والعُرْفُ، والنافِلةُ، وسَيْبُ الفرَس: شَعَرُ ذَنَبِه. يُنظر لسان العرب لابن منظور ١/ ٤٧٧، أنهابا: جمع النَّهْب وهي الغَنيمة، والنَّهْبُ: الغارةُ والسَّلْبُ. يُنظر السابق ١/ ٧٧٣.

(٢) سابِحٌ: السَّابِحُ مِنَ الْخَيْلِ الّذي يَمُدُّ يَدَيْهِ فِي الْجَرْيِ سَبْحاً. يُنظر السابق ٢/ ٤٧١، نَهدٌ: جَسِيمٌ مُشْرِفٌ. يُنظر السابق ٣/ ٤٢٩ مَراكِلُهُ: المَرْكَل مِنَ الدَّابَّةِ: حَيْثُ تُصيب برِجْلك، ومَرَاكِلُ الدَّابَّةِ حَيْثُ يَرْكُلها الْفَارِسُ بِرِجْلِهِ إِذا حَرَّكَهُ للرَّكْض، وَهُمَا مَرْكَلان أَي أَنه وَاسِعُ الْجَوْفُ عَظِيمُ الْمَرَاكِلِ، والمَرْكَلانِ مِنَ الدَّابَّةِ: هُمَا مَوْضِعَا القُصْرَيَيْن مِنَ الْجَنْبَيْنِ، وَلِذَلِكَ يُقَالُ فَرَس نَهْدُ المَرَاكِل. يُنظر السابق ١١/ ٢٩٤.

يَعــدو بِــهِ ســابِحٌ نَهــدٌ مَراكِلُــهُ ∴ مُجَلبَــبٌ بِسَــوادِ اللَيــلِ جِلبابــا

حَتّــى يُصَــبِّحَ أَقوامًــا يُحــارِبُهُم ∴ أَو يُســلَبوا دونَ صَــفِّ القَــومِ أَســلابا

تستمر الخنساء في تعداد الأشياء الموجبة للبكاء على صخر، فتذكر هذه الخيل التي أضيرت من موت صخر كما أضير الأيتام والأرامل، فإنْ فقد الأيتامُ والأراملُ حنان صخر وعطفه وإنفاقه فإنَّ الخيل كذلك افتقدت عطف صخر عليها ورحمته بها، ورعايته لها، وهذه الخيل ليست خيلا كسائر الخيل وإنما هي خيل كريمة مطيعة تعرف قدر صخر، وهي كذلك كثيرة، ولو جعلنا الضمير في قولها: (فقدن) يعود على الأيتام والأرامل وقادة هذه الخيل كان قولها: (سيبا وأنهابا) بمعنى عطايا ومغانم يُعطيها صخر لليتامى والأرامل وفرسان هذه الخيل، ويظهر لي معنى بعيد وهو أنَّ الضمير يعود إلى الخيل خاصة ويكون المعنى: إن هذه الخيل فقدت بموت صخر شعر أذنابها لما أصابها من وهن وضعف ولِما افتقدته من رعاية صخر لها، وكذلك افتقدت الغارات على العدو وإنما تُرَبَّى الخيول الكريمة لمثل هذه المواقف، فإذا تركت دون كر وفر فقدت قيمتها، ثم تستطرد الخنساء في وصف فرس صخر وصفا يدل على علمها بالخيل فهو شديدُ العَدْوِ وَاسِعُ الْجَوْف عَظِيمُ الْمَرَاكِلِ يوصل صاحبه إلى بغيته وهو شريكه في كل حالاته، وقولها: (مُجَلبَبٌ بِسَوادِ اللَيلِ جِلبابا) إشارة إلى لون خيل صخر الأسود، وربما كان كناية عن اتخاذ صخر وخيله الليلَ سترا في سيرهم إلى العدو، فهم يخرجون للغزو في جنح الليل حتى يتمكنوا من الوصول إلى عدوهم قبيل الصباح، وقولها: (حَتّى يُصَبِّحَ.....) أي أنَّ هذا الفرس الكريم لا يترك صاحبه صخرا دون أن يُبلغه حاجته من مفاجأة هؤلاء الأعداء فيحاربهم، أو أنه يفاجأهم قبل أن يصطفوا للحرب فيغنم منهم الغنائم. وتقول الخنساء: [1] (البسيط)

---

(١) ديوان الخنساء ص ٦٧.

يـا عَـينِ جـودي بِـدَمعٍ غَيـرِ مَنـزورِ ∴ مِثــلِ الجُمــانِ عَلــى الخَــدَّينِ مَحــدورِ[1]

وَابكــي أَخًــا كــانَ مَحمــودًا شَــمائِلُهُ ∴ مِثــلَ الهِــلالِ مُنيــرًا غَيــرَ مَغمــورِ

وَفــارِسَ الخَيــلِ وافَتــهُ مَنِيَّتُــهُ ∴ فَفــي فُــؤادِيَ صَــدعٌ غَيــرُ مَجبــورِ

نِعــمَ الفَتــى كُنــتَ إِذ حَنَّــت مُرَفرِفَــةً ∴ هــوجُ الرِيــاحِ حَنــينَ الوُلَّــهِ الحــورِ[2]

وَالخَيــلُ تَعثُــرُ بِالأَبطــالِ عابِسَــةً ∴ مِثــلَ السَــراحين مِــن كــابٍ وَمَعفــورِ[3]

تستهل الخنساء قصيدتها بهذا المطلع المتكرر في شعرها، فتطلب من عينها أن تجود بالدمع الكثير، ثم تؤكد الأمر لعينها مرة أخرى وتطلب منها البكاء على صخر ذلكم البطل كريم الشمائل نجيب الأصل: وفي قولها: (مثل الهلال) تشبيه جيد ولعل قائلا يقول: إن الأفضل تشبيهه بالبدر أو القمر، وهذا قول مردود لأمور منها: أنَّ المقام مقام رثاء وصخر مات ورثَّ، ثم إنَّ تشبيهها صخرا بالهلال فيه دلالة على أنَّ صخرا كان محل ترقب وانتظار فهو كالهلال، والعرب كانوا يتحرون رؤية الهلال أول كل شهر حتى يستطيعوا أن يحسبوا أيامهم، فكأن صخرا كان لبني سُليم كالهلال ينتظرون قدومه إذا غاب عنهم، وهو دليلهم الَّذي يستدل به على كل خير، ولذلك تجد الخنساء قد احترست بقولها منيرا حتى لا يظن ظان بأنه يفتقد النور، وكأن

---

(١) الجمان: جمع الجُمانة وهي حَبَّةٌ تُعْمَل مِنَ الفِضّة كالدُّرّة. يُنظر لسان العرب لابن منظور ٩٢/١٣.

(٢) حنَّت: الحَنينُ: الشديدُ مِنَ البُكاءِ والطَّرَبِ، وَقِيلَ: هُوَ صوتُ الطَّرَبِ، والحَنِينُ: الشَّوْقُ وتَوَقانُ النَّفس، وحَنَّت الإِبلُ: نَزَعَتْ إِلَى أَوْطانِها أَو أَوْلادِها. يُنظر السابق ١٣/ ١٢٩، الولّه: من الوَلَهُ ويَكُونُ مِنَ الْحُزْنِ وَالسُّرُورِ مِثْلَ الطَّرَبِ، وامرأَة وَلْهَى ووالهٌ ووالِهَةٌ ومِيلاةٌ: شَدِيدَةُ الْحُزْنِ عَلَى وَلَدِهَا. يُنظر السابق ١٣/ ٥٦١.

(٣) السراحين: جمع السِّرْحان وهو الذِّئبُ. يُنظر السابق ٢/ ٤٨١، كاب: من كَبا يَكْبُو كَبْوَةً إِذا عَثَر. السابق ١٥/ ٢١٣، المَغْفورُ: المُتَرَّبُ المُعَفَّرُ بِالتُّرابِ. يُنظر السابق ٤/ ٥٨٤.

صخرًا جمع بين كونه قائدا كريما يُنتظر وبين كونه هلالا منيرا، وفي قولها: (وفارس الخيل) إشارة إلى مدى ارتباط صخر بخيله وكأنه إذا قيل من فارس الخيل؟ اتجهت الأنظار نحو صخر، وصخر هذا كريم جواد:

نِعمَ الفَتى كُنتَ إذ حَنَّت مُرَفرِفَةً ∴ هوجُ الرِياحِ حَنينَ الوُلَّهِ الحورِ

فصخر فارس الخيل والمقدم في الحرب، وهو كذلك كريم جواد إذا ما احتاجه قومه يحن إليهم كحنين النسوة الواجدات على أولادهن، وقولها هذا تأكيد على منزلة صخر وحاجة قومه إليه في كل أحوالهم، وفي قولها: (والخيل تعثر بالأبطال) تصوير بديع يوضح شدة هذه المعركة التي أودت بكثير من الأبطال، وقد بلغ الأمر من كثرة هؤلاء الأبطال تعثر الخيل وهي تمشي في بقايا جثثهم، وهي فاتحة أفواهها لما أصابها من الجراح، وقيل إن الخيل لا ترى أبدا في الحرب إلا كهذه الحالة كالحة عابسة[١] ثم إنها تشبه حال هذه الخيل بهذه الذئاب فهي بين مصروع على وجهه، ومعقور بطعن الفرسان، وقد يكون المعنى أنَّ هذه الخيل حينما تصطدم بهؤلاء الأبطال ويعملون فيها الطعن تكون هذه الخيل بين مصروع على وجهه، ومعقور بطعن الفرسان، وقد استطاعت الخنساء أن ترسم صورة دامية للخيل في المعركة وهذا التصوير لا يصدر إلا من عليم بالخيل وأحوالها، والمعارك وأهوالها.

وتقول الخنساء في رثاء أخيها: [٢] (السريع)

مَن كانَ يَوماً باكِيًا سَيِّدًا ∴ فَلْيَبكِهِ بِالعَبَراتِ الحِرار

وَلتَبكِهِ الخَيلُ إذا غودِرَت ∴ بِساحَةِ المَوتِ غَداةَ العِثار

(١) يُنظر مختارات شعراء العرب لابن الشجري ضبطها وشرحها: محمود حسن زناتي ٣/ ٣٠ – مطبعة الاعتماد– مصر –الطبعة الأولى– عام ١٣٤٤ هـ / ١٩٢٥ م.

(٢) ديوان الخنساء ص ٦٨، ٦٩.

تدعو الخنساء في هذه الأبيات الكون بأسره أن يشاركها بكاء أخيها صخر، وهي لا تدعوهم دعاء من لا يُرجى إجابته، وإنما تدعوهم دعاء الواثق من إجابة طلبه؛ لما لأخيها صخر عليهم من أياد، ثم تخص بطلبها هذا الخيل، وما هذا إلا إشارة إلى ارتباط الشاعرة وأخيها صخر بهذه الخيل، ثم توضح الشاعرة أنَّ هذه الخيل قد غودرت في أرض المعركة، وفي هذا إشارة إلى أنَّ صخرا ظلَّ وفيا لخيله طيلة حياته يصحبها في حربه وصيده وجَدِّه ولهوه ولم يفارقها إلا مُكرها، ولذلك لما فارقها صخر بقيت هذه الخيل هائمة على وجوهها في أرض المعركة، فهذه الخيل أيضا بلغت غاية الوفاء، ووفاء هذه الخيل يشبه وفاء فارسها صخر، فقد بقيت في ساحة المعركة ولم تهرب منها، وانظر إلى قولها: (ساحة الموت) ولو شاءت لقالت ساحة الحرب وكأن الجميع مات بموت أخيها صخر، وفي هذا إشارة إلى كثرة من قتلوا في هذه المعركة، وفي هذا البيت ترسم الشاعرة صورة للخيل بعد موت صاحبها، وهي صورة قاتمة للضياع والفقد الذي حلَّ بالخيل، وربما ليس بالخيل فحسب وإنما بالخيل وفرسانها.

وتقول الخنساء واصفة فرس أخيها صخر: [1] (المتقارب)

وحسناء في القوم منسوبة ∴ تكشِّف عن حاجبيها السبيبا[2]

فشد مناكبها مقصرا ∴ يبادرها يستطف الركوبا[3]

تشق سنابكها حوله ∴ وتقذف بالطرف عنها الغيوبا

فأجرى أجاريها كلها ∴ ومن كل جري تلاقي نصيبا

فلما علاها استمرت به ∴ كما أفرغ الناضحون الذنوبا

---

(١) ديوان الخنساء تحقيق الدكتور أنور أبي سويلم ص ٢٥٨ وما بعدها – طبعة دار عمار– الأردن– الطبعة الأولى ١٤٠٩ هـ/ ١٩٨٨ م.

(٢) السَّبِيبُ مِنَ الفَرَس: شَعَر الذَّنَبِ، والعُرْفِ، والنَّاصِيَةِ. يُنظر لسان العرب لابن منظور ١/ ٤٥٩،

(٣) يستطف من اسْتَطَفَّ إذا دَنا وتَهيَّأَ وأَمكن. يُنظر السابق

تصور الخنساء في هذه الأبيات فرس أخيها صخر وهي فرس جميلة نجيبة كريمة لها آباء كرماء، فهي كريمة النسب وهي حسنة المظهر تستهوي الناظرين، وأفضل الخيل العريقة المعروفة الآباء والأمهات، ولما كانت فرس صخر هذه نجيبة منسوبة لازم ذلك أن تكون مطيعة لفارسها يجري بها حيث أراد وتبلغه المراد، فإذا ما وضع السرج عليها ليمتطيها وسارع في اعتلائها لكونه فارسا ماهرا دارت فرحا وطربا لهذا، وذلك من علامات النجابة في الخيل، ودليل على أنَّ هواها وافق هوى فارسها، فهي مثله لا تريد الراحة والركون وإنما تريد الانطلاق والكر والفر، فإذا ما استقر عليها صخر ذهبت به حيث أراد وانقادت له في سلاسة ويسر، وكأنها تشق الأرض بحوافرها من شدة نشاطها، وإنها لترمي بطرفها وراء الغيوب فتنظر يمنة ويسرة وهي مستمرة في سيرها لا يشغلها هذا النظر عن طريقها، ومن نجابة هذه الفرس أنها تجري كما أراد لها صاحبها فهي تعرف طرق الجري كلها فإذا ما أراد منها صخر طريقة أجابته لما أراد، إن هذا الوصف الدقيق لهذه الفرس شكلا ونسبا وطرق مشي لوصف يدل على علم الخنساء بشئون الخيل وأحوالها، ولعل ما دفع الخنساء لهذه المعرفة الدقيقة؛ شدة حبها لصخر فلما أحبت صخرا أحبت كل ما أحب صخرٌ وخبرت كل ما يتعلق به. وتقول الخنساء واصفة فرس أخيها صخر:[١] (الوافر)

وَخَيـــلٍ قَـــد دَلَفَـــتَ بِجَـــولِ خَيـــلٍ ∴ فَـــدارَت بَـــينَ كَبشَـــيها رَحاهـــا[٢]

تُكفِكِـــفُ فَضـــلَ ســـابِغَةٍ دِلاصٍ ∴ عَلـــى خَيفانَـــةٍ خَفِـــقٍ حَشـــاها[٣]

(١) ديوان الخنساء تحقيق الدكتور أنور أبي سويلم ص ٢٨٧ وما بعدها.

(٢) دَلَفَ يَدْلِفُ دَلْفاً ودَلَفاناً ودَلِيفاً ودُلوفاً إِذَا مَشَى وقارَبَ الخَطْو. يُنظر لسان العرب لابن منظور ٩/ ١٠٦، كَبْشُ القومِ: رئيسُهم وسيِّدُهم، وَقِيلَ: كَبْش القومِ حامِيتُهم والمنظورُ إليه فِيهِمْ. يُنظر السابق ٦/ ٣٣٨.

(٣) الدِّلاصُ مِنَ الدُّروع: اللَّيِّنَةُ. ودِرعٌ دِلاصٌ: بَرَّاقَةٌ مَلْسَاءُ لَيِّنَةٌ بَيِّنَةُ الدَّلَصِ. يُنظر السابق ٧/ ٣٧، والخَيْفَانَةُ: الجَرادةُ إِذَا صَارَتْ فِيهَا خُطُوطٌ مُخْتَلِفَةٌ بَيَاضٌ وصُفرة، وَالْجَمْعُ خَيْفَانٌ والجَرادُ حينئذٍ أَطير مَا ←←←

وَقَـــد فَقَـــدَتكَ طَلقَـــةُ فَاســـتَراحَت ∴ فَلَيـــتَ الخَيـــلَ فارِسُـــها يَراهـــا[1]

وكنـــتَ إذا أردتَ بهـــا ســـبيلاً ∴ فعلـــتْ ولـــم يتممهـــا هواهـــا

تقول الخنساء في هذه الأبيات وكم من خيل قد زحفت لها بخيل فدارت بين قائديها حرب ضروس! وهذا إشارة إلى كثرة خيل صخر وانقيادها له، كما فيه إشارة واضحة أيضا إلى كثرة خيل عدو صخر، فالشاعرة تريد أنَّ أعداء صخر كانوا مقاربين لصخر وبني سُليم مشابهين لهم في عتادهم وخيولهم، وقد دارت هذه الحرب وكانت هذه الخيول بفرسانها تصول وتجول ثم تعود إلى قائدها، ثم تتطرق الشاعرة إلى وصف خيل صخر فتقول: إن صخرا هذا يمتطي فرسا تشبه الجراد في خفتها وضُمْرها وسرعتها، ثم تصف الخنساء حال فرس صخرٍ هذه بعد موته، وقد افتقدت مَن يمتطيها، ومن يقودها نحو الحروب، وأصابتها الراحة والدعة، ثم تتمنى الشاعرة عودة أخيها صخر ليرى ما حلَّ بخيله لمَّا استراحت من الغزو، وقد ذهب قدامة بن

←←←

يَكُونُ، وَنَاقَةٌ خَيْفَانَةٌ: سَرِيعَةٌ، شُبِّهَتْ بِالْجَرَادِ لِسُرْعَتِهَا، وَكَذَلِكَ الْفَرَسُ شُبِّهَتْ بِالْجَرَادَةِ لِخِفَّتِهَا وضُمورها. يُنظر السابق ٩/ ١٠٢.

(١) طلقة: اسمُ فرس صخر بن عمرو. يُنظر الحلبة في أسماء الخيل المشهورة في الجاهلية والإسلام لمحمد بن علي بن كامل الصاحبي التاجي تحقيق د/ حاتم صالح الضامن ص ٥٦ – طبعة دار البشائر – دمشق– الطبعة الثانية ١٤٣٠ هـ/ ٢٠٠٩ م. وقد ذكر الدكتور أنور أبو سويلم محقق الديوان عدة روايات يظهر فيها اختلاف اسم فرس صخر ومنها:

وَقَـــد فَقَـــدَتكَ حَذْفَـــة فَاســـتَراحَت ∴ فَلَيـــتَ الخَيـــلَ فارِسُـــها يَراهـــا

ومنها:

وَقَـــد فَقَـــدَتكَ رعلـــة فَاســـتَراحَت ∴ فَلَيـــتَ الخَيـــلَ فارِسُـــها يَراهـــا

وروي

وَقَـــد فَقَـــدَتكَ طليحـــة فَاســـتَراحَت ∴ فَلَيـــتَ الخَيـــلَ فارِسُـــها يَراهـــا

يُنظر هامش ديوان الخنساء تحقيق الدكتور أنور أبي سويلم ص ٢٨٩.

جعفر إلى إنه ليس من إصابة المعنى أن يقال في كل شيء تركه الميت: إنه يبكي عليه، لأن من ذلك ما إن قيل إنه بكى عليه كان سبة وعيبًا لاحقين به، فمن ذلك مثلاً إن قال قائل في ميت: بكتك الخيل إذ لم تجد لها فارسًا مثلك، فإنه مخطئ، لأن من شأن ما كان يوصف في حياته بكدّه إياه، أن يذكر اغتباطه بموته، وما كان يوصف بالإحسان إليه في حياته أن يذكر اغتمامه بوفاته، ومن ذلك إحسان الخنساء في مرثيتها صخرًا وإصابتها المعنى، حيث قالت تذكر اغتباط حذفة فرس صخر بموته:

فقدْ فقدتكَ حذفةُ فاستراحتْ ∴ فَلَيتَ الخَيلَ فارِسُها يَراها

ولو قالت: فقدتك حذفة فبكت، لأخطأت، بل إنما يجب أن يبكي على الميت. (١)

ويستبين لي أنَّ البيت يحمل معنى آخر غير المعنى الَّذي ذهب إليه العالم الجليل قدامة بن جعفر، وبنى عليه حكمه، فالخنساء لم تذكر أنَّ خيل صخر اغتبطت لموته، وإنما ذكرت أنها استراحت، والراحة لا تقابل السعادة، وإنما تقابل الكد، وعليه فلا حرج إذا ذكر الشاعر حزن وبكاء الدّواب وغيرها على صاحبها إذا مات، والحزن والبكاء من الدواب –خاصة الخيل– على أصحابها مشاهد معلوم، وقد ورد في غير موضع أنَّ الخنساء أشارت إلى بكاء الخيل على صخر وحزنها لموته، ومن ذلك قولها:(٢) (الطويل)

فَيا عَينِ بَكّي لِإمرِئٍ طارَ ذِكرُهُ ∴ لَهُ تَبكِ عَينُ الراكِضاتِ السَوابِحِ(٣)

---

(١) نقد الشعر لقدامة بن جعفر ص ٣٣ – مطبعة الجوائب – قسطنطينية– الطبعة الأولى– ١٣٠٢ هـ.

(٢) ديوان الخنساء ص ٢٨.

(٣) السوابح: جمع السابح، والسَّابِحُ مِنَ الْخَيْلِ الّذي يَمُدُّ يَدَيْهِ فِي الْجَرْيِ سَبْحاً. يُنظر لسان العرب لابن منظور ٢/ ٤٧١.

وَكُـــلُّ طَويـــلِ المَـــتنِ أَســـمَرَ ذابِـــلٍ ∴ وَكُـــلُّ عَتيـــقٍ فـــي جِيـــادِ الصَـــفائِحِ[1]

وَكُـــــلُّ دِلاصٍ كَالأَضـــــاةِ مُذالَـــــةً ∴ وكُـــلُّ جَـــوادٍ بَـــيِّنِ العِتـــقِ قـــارِحِ[2]

ويشهد على ذلك أيضا ما ذكرته قبل ذلك من أن خيل صخر تشبهه في علو الهمة.

وتقول الخنساء واصفة خيل أخيها معاوية حين يُغير على أعدائه: [3] (الطويل)

وَقَـــوّادَ خَيـــلٍ نَحـــوَ أُخـــرى كَأَنَّهـــا ∴ سَـــعالٍ وَعِقبـــانٌ عَلَيهـــا زَيانِيَـــه[4]

ترسم الخنساء في البيت السابق صورة لخيل أخيها معاوية حينما يُغير على خيل أعدائه فهو يقود خيله نحو خيل أعدائه في جرأة وإقدام وانظر إلى قولها: (قوَّاد) بصيغة المبالغة والتي تدل على تمكنه، وقوة بأسه، وهذه الخيل التي يمتطيها معاوية ومن معه خيل كريمة تشبهه فإذا ما وجهها نحو خيل عدوه انطلقت غير هيابة، وهذه الخيل تشبه أخبث إناث الغيلان في إخافتها فرسان العدو وأفراسهم، وهي أيضا تشبه

---

(١) ذَابل: دَقِيقٌ. يُنظر السابق ١١/ ٢٥٥، الصفائح: جمع الصفيحة، والصَّفِيحة: السَّيْفُ الْعَرِيضُ. السابق ٢/ ٥١٣.

(٢) الدلاص: دِرعٌ بَرَّاقَةٌ مَلْسَاءُ. يُنظر السابق ٧/ ٣٧، الأَضَاةُ: الغَدير. السابق ١٤/ ٣٨، القارح: مِنَ الْخَيْلِ هو الَّذِي دَخَلَ فِي السَّنَةِ الْخَامِسَةِ، وَقَدْ قَرِحَ يَقْرَحُ قَرَحاً، وأَقْرَحَ وَهُوَ أَقْرَحُ وَهِيَ قَرْحاءُ؛ وَقِيلَ: الأَقْرَحُ الَّذِي غُرَّته مِثْلُ الدِّرْهَمِ أَو أَقل بَيْنَ عَيْنَيْهِ أَو فَوْقَهُمَا مِنَ الْهَامَةِ. يُنظر السابق ٢/ ٥٦٠.

(٣) ديوان الخنساء ص ١٤٥. وأخوها هو معاوية بن عمرو كان فارساً شجاعاً، فأغار في جمع من بني سليم على غطفان، فاحتربوا، فلم يزل يطعن فيهم ويضرب، فلما رأوا ذلك تهيأ له ابنا حرملة: دريد، وهاشم، فاستطرد له أحدهما، فحمل عليه معاوية فطعنه، وخرج عليه الآخر وهو لا يشعر فقتله. يُنظر الكامل للمبرد ٤/ ٤٨.

(٤) سعال: جمع السِّعْلاة وهي أَخبث الغِيلان، وَقِيلَ: هِيَ الأُنثى مِنَ الغِيلان. يُنظر لسان العرب لابن منظور ١١/ ٣٣٦. العقبان: جمع العُقاب وهو طَائِرٌ مِنَ العِتاقِ. يُنظر السابق ١/ ٦٢١.

العقبان وهي عتاق الطير في سرعتها، وتكمل الشاعرة الصورة بقولها عليها زبانية أي فرسان غلاظ شداد، إنها صورة مركبة من الخيل وفرسانها، وهي صورة مكتملة الأركان تبث الرعب في نفوس العدو وتُعجِّل بهزيمته.

يتضح لنا مما سبق أنَّ حديث الخنساء عن خيل صخر وقومها جاء كثيرا متنوعا، فلم تكتف الخنساء بذكر قوة هذه الخيل ونجابتها، وإنما جعلتها تشاركها البكاء على أخيها صخر، واستطاعت إظهار حزن هذه الخيل على موت قائدها، كما يتضح لنا اطراد حديث الخنساء عن الخيل – في أكثر المواضع- بعد حديثها عن بكاء عينيها، فصورة الخيل امتداد لبكاء عينها، وكأن حزنها هي والخيل على صخر حزن واحد، وبكاءهما بكاء واحد، وأمانهما أمان واحد، فصخر كان مصدر الإحسان والأمان للخنساء ولقومها وللخيل، فلما مات صار مصدر حزن وألم لهم.

المحور الثاني: خيل العدو:

لم يتوقف حديث الخنساء عند وصف خيل أخيها وقومها، وإنما تجاوزته لذكر خيل أعدائهم، وكان حديث الخنساء عن خيل العدو متنوعا ومُنصفًا، فتارة تذكر قوة هذه الخيل ونجابتها التي كانت سببا في نجاة فرسانها، وتارة تصف خوف خيل العدو، تقول الخنساء واصفة نجابة خيل العدو: [1] (الكامل)

وَنَجـــا رَبيعَـــةُ يَـــومَ ذَلِـــكَ مُرهَقـــاً ∴ لا يَـــأتَلي فـــي جـــودِهِ يَجـــري[2]

فَأَتَـــت بِـــهِ أَسَـــلَ الأَسِـــنَّةِ ضـــامِرٌ ∴ مِثـــلُ العُقـــابِ غَـــدَت مِـــنَ الـــوَكرِ[3]

تصور الشاعرة في هذه الأبيات خيل عدو صخر وكيف كان هذا الفرس الكريم النجيب الَّذي يجيد خوض غمار المعارك سببا في نجاة ربيعة الَّذي طعن صخرا، وفرس ربيعة هذه تشبه العقاب في خفتها وسرعة ذهابها، ونجابة هذه الخيل تدل على نجابة فارسها وتشير إلى كونه مكافئا لأخيها صخر ولولا نجابة هذه الخيل لم ينجُ ربيعة يوم هذه الحرب.

وتصف الخنساء خيل العدو في المعركة فتقول: [4] (المتقارب)

---

(١) ديوان الخنساء ص ٥٧.

(٢) ربيعة: هو ربيعة بن ثور الأسدي وهو الَّذي طعن صخرا في جنبه فمكث حولا ثم مات منها. يُنظر العقد الفريد لابن عبد ربه ٦/ ٣١ –طبعة دار الكتب العلمية – بيروت– الطبعة الأولى– عام ١٤٠٤ هـ.

(٣) الأَسَل: الرِّماح. يُنظر لسان العرب لابن منظور ١١/ ١٤، العُقابُ: طَائِرٌ مِنَ العِتاقِ مؤنثةٌ؛ وَقِيلَ: العُقابُ يَقَع عَلَى الذَّكَرِ والأُنثى. يُنظر السابق ١/ ٦٢١.

(٤) ديوان الخنساء ص ٨٢.

وَخَيـــــلٍ تَكَـــــدَّسُ بِالـــــدَّارِعينَ ∴ وَتَحـــتَ العَجاجَـــةِ يَجمِـــزنَ جَمـــزا[١]

جَزَزنـــــا نَواصِـــــيَ فُرســـــانِها ∴ وَكـــــانوا يَظُنّـــــونَ أَن لا تُجَـــــزّا

تصور الخنساء في البيتين السابقين خيل الأعداء، وهي خيل كثيرة العدد تصول وتجول في مضمار الحرب، وهي خيل كريمة تحمل فرسانا قد أتموا استعدادهم للحرب فلبسوا الدروع، وكانوا في استقبال فرسان بني سُليم إلا أنَّ استعدادهم هذا لم يغن عنهم شيئا فقد استطاع فرسان بني سُليم قطع رقابهم والقضاء عليهم.

وتقول الخنساء واصفة خوف خيل العدو من أخيها صخر:[٢] (الطويل)

وَمـــا كَـــرَّ إِلّا كـــانَ أَوَّلَ طـــاعِنٍ ∴ وَلا أَبصَـــرَتهُ الخَيـــلُ إِلّا اِقشَـــعَرَّتِ[٣]

ترسم الخنساء في البيت السابق صورة لخيل العدو حينما ترى صخرا وكأنها تعرف قدره وشجاعته وبأسه وإقدامه فإذا ما أبصرته جبنت واقشعرت وخارت قواها فكانت سببا في هلاك فرسانها، وكأن إقدام صخر وبأسه وعزمه قد جاوز عدوه ووصل خيل عدوه فأرعبهم.

يتضح مما سبق أن حديث الخنساء عن الخيل لم يتوقف عند حديثها عن خيل أخيها صخر، وإنما تجاوز ذلك إلى الحديث عن خيل أعدائه، وقد جاء حديثها عن خيل الأعداء منصفا لهذه الخيل.

---

(١) تكدَّست الْخَيْلُ إِذا ازْدَحَمَتْ وَرَكِبَ بَعْضُهَا بَعْضًا، وتكدَّسَت: أَسرعت وَرَكِبَ بَعْضُهَا بَعْضًا فِي سَيْرِهَا يُنظر لسان العرب لابن منظور ٦/ ١٩٢، الدارعين: جمع الدارع والدَّارِعُ: الَّذِي عَلَيْهِ الدِّرْعُ. يُنظر السابق ٦/ ٩٩، والعَجَاج: الغُبار، وَقِيلَ: هُوَ مِنَ الْغُبَارِ مَا ثَوَّرَتْه الرِّيحُ. يُنظر السابق ٢/ ٣١٩، الجمز: عَدْوٌ دُونَ الحُضْر الشَّدِيدِ وَفَوْقَ العَنَق. يُنظر السابق ٥/ ٣٢٣.

(٢) ديوان الخنساء ص ١٦.

(٣) اقشعرت: من القُشَعْرِيرة وهي الرِّعْدَة واقْشِعْرارُ الْجِلْدِ. يُنظر لسان العرب لابن منظور ٥/ ٩٥.

المحور الثالث: بين خيل صخر وخيل أعدائه:

إن أكثر ما يُظهر حُسن الأشياء وأصالتها حينما تقارنها بما يماثلها أو يشبهها، والخيل الكريمة هي التي تظهر نجابتها في ساحة الوغى حينما تلتقي بما يماثلها من خيل الأعداء؛ لأنَّ معدنها الأصيل يظهر يومئذ، وقد استطاعت الخنساء تصوير نجابة خيل أخيها وسبقها خيل عدوه، ومن ذلك قولها: [1] (السريع)

كُـــلُّ اِمـــرِئٍ سُـــرَّ بِـــهِ أَهلُـــهُ ∴ سَـــوفَ يُـــرى يَومـــاً عَلـــى ناحِيَـــه

يـــا مَـــن يَـــرى مِـــن قَومِنـــا فارِســـاً ∴ فـــي الخَيـــلِ إِذ تَعـــدو بِـــهِ الضـــافِيَه[2]

تَحتَـــكَ كَبـــداءٌ كُمَيـــتٌ كَمـــا ∴ أُدرِجَ ثَـــوبُ اليُمنَـــةِ الطاوِيَـــه[3]

إِذ لُحِقَـــت مِـــن خَلفِهـــا تَـــدَّعي ∴ مِثـــلَ سَـــوامِ الرَجُـــلِ الغادِيَـــه

يَكفَأُهـــا بِـــالطَعنِ فيهـــا كَمـــا ∴ ثَلَّـــمَ بـــاقي جَبـــوَةِ الجابِيَـــه[4]

تَهـــوي إِذا أُرسِـــلنَ مِـــن مَنهَـــلٍ ∴ مِثـــلَ عُقـــابِ الدُجنَـــةِ الداجِيَـــه(٥)

---

(١) ديوان الخنساء ص ١٤٧، ١٤٨.

(٢) الضافية: من الضَّفْو وهو السُّبُوغُ، وفَرَسٌ ضَافِي السَّبِيبِ: سابِغُه. يُنظر لسان العرب ١٤/ ٤٨٥.

(٣) كبداء: عظيمة البطن، وكَبِدُ كلِّ شَيْءٍ: وسَطُه وَمُعْظَمُهُ. يُنظر السابق ٣/ ٣٧٥، كميت: والكُمَيْتُ مِنَ الْخَيْلِ، يَسْتَوي فِيهِ الْمُذَكَّرُ والمؤَنث، ولَوْنُه الكُمْتَة، وَهِيَ حُمْرة يَدْخُلُها قُتُوءٌ. يُنظر السابق ٢/ ٨١.

(٤) الجَبَا، مَا حَوْلَ الْبِئْرِ، ومَا جَمَعْتُ فِيهِ مِنَ الْمَاءِ. الْجَوْهَرِيُّ: والجِبا، الْمَاءُ الْمَجْمُوعُ للإِبل. يُنظر السابق ١٤/ ١٢٩.

(٥) العُقابُ: طَائِرٌ مِنَ العِتاقِ مؤنثةٌ، وَقِيلَ: العُقابُ يَقَع عَلَى الذَّكَرِ والأُنثى. يُنظر السابق ١/ ٦٢١، الدجنة: الظلمة وَالدَّاجِنَةُ: المطَرَةُ المُطبقة نَحْوُ الدِّيمة. يُنظر السابق ١٣/ ١٤٨.

إن صخرا فارس مغوار نجيب الأصل كريم المحتد عليم بالمعارك وغمراتها، ولذلك أعد لها عدتها، وكانت خير عدة الفارس في هذا الزمان خيله التي تبلغه غايته، وتمهَّل في قراءة هذه الأبيات لترى استرسال الشاعرة في وصف خيل أخيها استرسالا يدل على علمها بدقائق هذه الخيل وصفاتها، فتصفها بأنها خيل طويلة شعر الذَّنَبِ، والعُرْفِ، والنَّاصِيَةِ، وَاسِعة الْجوف، لونها بين الحمرة والسواد تُشبه في جمالها الثوب اليماني، وهذه كلها من صفات الجمال والحسن والنجابة في الخيل، وهذه الخيل من نجابتها تسبق خيل العدو مهما كانت سرعتها، ولعل هذا السباق يكون بعد انتهاء الغارة من صخر على أعدائه ومحاولتهم اللحاق به، وخيل صخر في سرعتها وكثرتها تشبه هذه الإبل الغادية إلى مرعاها، والإبل إذا غدت إلى مرعاها كانت خفيفة نشيطة تغدو بسرعة؛ لأنها لم تثقل بعد، وهي أيضا تعدو راغبة غير مكرهة، وكأني بالشاعرة تريد أنْ تقول إنَّ خيلَ أخيها من كثرة خوضها المعارك واعتيادها عليها، أصبحت كأنها إبل في حالة السِلم تغدو إلى مرعاها في خفة ونشاط، ثم تنتقل الشاعرة إلى وصف خيل أعداء أخيها التي تحاول اللحاق بخيل أخيها فتعجز عن ذلك لأمرين، الأول: نجابة خيل أخيها، والآخر: شدة طعان أخيها لخيل العدو، الَّذي أعمل في خيل عدوه الطعن والضرب فسالت دماؤها، وكأن ما سال من دمائها يشبه الماء السائل من الحوض المتهدم، ولا يعني هذا أن خيل العدو هذه ليست نجيبة بل هي نجيبة كريمة لكنها دون خيل صخر، ويشهد لذلك سرعتها وإقدامها الَّذي يشبه سرعة وإقدام العقاب في يوم تلبدت سماؤه بالغيوم، وهي حينئذ تكون أكثر قدرة على النيل من فريستها، وهذا الكلام إنصاف من الخنساء للأعداء وخيلهم، وهذا منهج مطرد عند كثير من شعراء العرب.

وتقول الخنساء واصفة خيل أخيها في مواجهة خيل العدو: [1] (المتقارب)

ذَكَـــرتُ أَخـــي بَعـــدَ نَـــومِ الخَلِـــيِّ ∴ فَانحَـــدَرَ الـــدَمعُ مِنّـــي اِنحِـــدارا

وَخَيـــــلٍ لَبِســـــتَ لِأَبطالِهـــــا ∴ شَـــليلاً وَدَمَّـــرتَ قَومـــاً دَمـــارا[2]

تَصَـــــيَّدُ بِـــــالرُمحِ رَيعانَهـــــا ∴ وَتَهتَصِـــرُ الكَـــبشَ مِنهـــا اِهتِصـــارا[3]

فَأَلحَمتَهـــا القَـــومَ تَحـــتَ الـــوَغى ∴ وَأَرسَـــلتَ مُهـــرَكَ فيهـــا فَغـــارا

يَقـــين وَتَحسَـــبُهُ قـــافِلًا ∴ إِذا طابَقَـــت وَغَشـــينَ الحِـــرارا[4]

فَـــذَلِكَ فـــي الجَـــدِّ مَكروهُـــهُ ∴ وَفـــي السِـــلمِ تَلهـــو وَتُرخـــي الإِزارا

تستهل الخنساء قصيدتها بهذا المطلع الَّذي يفيض حزنا وألما حينما ذكرت أخاها بعدما انفردت بنفسها، وهذا أدعى للصدق في الحزن وأكثر أمنا من لوم العذّال، فلما ذكرت أخاها انحدر دمعها انحدارا وقد استخدمت الشاعرة الفاء العاطفة إشارة إلى

---

(١) ديوان الخنساء ص ٥٤.

(٢) الشَّلِيلُ: الغِلالة الَّتِي تُلْبَسُ فَوْقَ الدِّرْع، وَقِيلَ: هِيَ الدِّرْع الصَّغِيرَةُ الْقَصِيرَةُ تَكُونُ تَحْتَ الْكَبِيرَةِ، وَقِيلَ: تَحْتَ الدِّرْع مِنْ ثَوْبٍ أَو غَيْرِهِ، وَقِيلَ: هِيَ الدِّرْع مَا كَانَتْ. يُنظر لسان العرب لابن منظور ١١/ ٣٦٢.

(٣) ريعانها: رَيْعُ كلِّ شَيْءٍ ورَيْعانُه: أَوَّلُه وأَفْضَلُه. يُنظر السابق ٨/ ١٣٩، الكبش: كَبْشُ القومِ: رئيسُهم وسيِّدُهم، وَقِيلَ: كَبْش القومِ حامِيتُهم والمنظورُ إليه فِيهِمْ. يُنظر السابق ٦/ ٣٣٨، الهَصْرُ: الكسْرُ. هَصَرَ الشيءَ يَهْصِرُه هَصْراً: جَبَذَه وأَماله، وهَصَرْتُ الشَّيْءَ ووَقَصْتُه إذا كَسَرْتَهُ. يُنظر السابق ٥/ ٢٦٤.

(٤) يقين: يقال فَرَسٌ واقٍ إِذا كَانَ يَهابُ المشيَ مِنْ وَجَع يَجِده فِي حافِره، وَقَدْ وَقَى يَقِي؛ وَقِيلَ: فَرَسٌ واقٍ إِذا حَفِيَ مِنْ غِلَظِ الأَرضِ ورِقَّةِ الحافِر فَوَقَى حافِرُه الْمَوْضِعَ الْغَلِيظَ. يُنظر السابق ١٥/ ٤٠٥، القافل: الفرس إذا ضَمَر. يُنظر السابق ١١/ ٥٦٢، الحرار: جمع الحَرَّة وهي أَرض ذَاتُ حِجَارَةٍ سُودٍ نَخِرَةٌ كأَنما أُحرقت بِالنَّارِ. يُنظر السابق ٤/ ١٨٠.

سرعة استجابة عينيها لمطلبها وكأن عينيها كانتا تنتظران أن تختلي الخنساء بنفسها فلما اختلت بنفسها وذكرت أخاها انحدر الدمع منهما انحدارا، ثم تأخذ الشاعرة في بيان فضائل أخيها وأول هذه الفضائل التي تسوقها في هذه الأبيات هي شجاعته وقوة بأسه، وقولها: (وخيلٍ...) أي ورب خيل، ورب هنا بمعنى كم فهي تفيد التكثير؛ لأن هذا ما يناسب المقام، وهذه الخيل على كثرتها ونجابة فرسانها لم تصمد أمام صخر ومهره، وقولها: (وَدَمَّرتَ قَوماً دَمارا) إجمال يفصله ما بعده، وكأنه إذا قيل كيف كان هذا الدمار؟ قيل: إنه تَصَيَّدُ بِالرُمحِ رَيعانَها إلى آخره.

وهذه الخيل لما أقبلت ابتدرها صخر برمحه طعنا فأرداها، ثم جذب إليه قادتها فذبحهم وهو على متن فرسه، حتى أصبحت هذه الخيل ومن عليها من فرسان العدو من شدة طعن صخر كأنها قطع لحم، أما ما سلم من خيل العدو ونجا من طعنات صخر فقد خاف المشي والمرور لِمَا وجده من وجع في حوافره، ثم تعرج الخنساء على ذكر مهر صخر الَّذي ساعده في خضَّم هذه المعركة فصال وجال دون عثرة، فهو يشبه صاحبه في عَدْوِه، وعدم مهابة عَدُوه، وقولها: مهرك المُهْر هو ولدُ الْفَرَسِ وأَوّل مَا يُنْتَج مِنَ الْخَيْلِ[1] اختيار جيد من الشاعرة وكأن صخرا انتقى هذا المهر من بين خيله لمواجهة هذا العدو، وكأنَّ هذا المهر الَّذي أحسن صخرٌ تدريبه وتعليمه أصبح يُضاهي عتاق الخيل فتغلَّب على خيل العدو، ولم تمنعه حداثة سنه من ذلك، وخيول أعداء صخر هي كذلك خيل كريمة يمتطيها قوم كرماء يقاربون صخرا في صفاته، ولكنَّ هذه الخيل خشيت الركض والجري لما أصابها من وجع وألم لا لعيب فيها، وهذا الكلام الجيد عن العدو من قادة وخيل دليل على نجابة صخر فهو لا يصارع إلا من يشبهه من الأعداء، وتلمس في هذا الكلام إنصافا من الخنساء للعدو وخيله.

---

(١) يُنظر لسان العرب لابن منظور ٥/ ١٨٥.

يظهر لنا مما سبق أن تصوير الخنساء للخيل لم يتوقف عند تصوير خيل صخر منفردة، ولا عند تصوير خيل أعدائه منفردة، وإنما استطاعت أن ترسم صورة مكتملة لخيل أخيها في مواجهة خيل أعدائه، مظهرة تفوق خيل أخيها على خيل أعدائه، وفي الوقت ذاته لم تنتقص من خيل أعدائه وإنما أظهرت نجابة هذه الخيل وفضلها.

المبحث الثاني

الخيل والتشكيل الفني للقصيدة

بعد أنْ انتهيت من الكلام عن أنماط حديث الخنساء عن الخيل في المبحث السابق، وسأتحدث في هذا المبحث عن الخيل والتَّشكيل الفنِّي للقصيدة، وسيكون ذلك من خلال ثلاثة محاور بيانها كالآتي:

المحور الأول: الخيل والمعجم الشعري:

إنَّ الشاعر المجيد هو الَّذي يمتلك معجمًا شعريًّا يجعله قادرا على التعبير عن مكنون نفسه، وما يختلج في صدره، والخنساء شاعرة امتلكت معجما شعريا استطاعت من خلاله أنْ تُبرز كثيرًا من صفات الخيل الجسدية والمعنوية، وهذه الصفات في كثير من الأحيان تعكس صفات أخويها صخر ومعاوية خاصة وقومها عامة، ومن صفات الخيل التي ذكرتها الخنساء ما جاء في قولها:[١] (الطويل)

فَيا عَينِ بَكّي لامرِئٍ طارَ ذِكرُهُ ∴ لَهُ تَبكِ عَينُ الراكِضاتِ السَوابِحِ

وَكُلُّ طَويلِ المَتنِ أَسمَرَ ذابِلٍ ∴ وَكُلُّ عَتيقٍ في جِيادِ الصَفائِحِ

وَكُلُّ دِلاصٍ كَالأَضاةِ مُذالَةً ∴ وكُلُّ جَوادٍ بَيِّنِ العِتقِ قارِحِ[٢]

---

(١) ديوان الخنساء ص ٢٨.

(٢) الدلاص: دِرعٌ بَرَّاقَةٌ مَلْسَاءُ. يُنظر لسان العرب لابن منظور ٧/ ٣٧، الأَضَاةُ: الغَدير. السابق ١٤/ ٣٨، القارح: مِنَ الْخَيْلِ هو الَّذِي دَخَلَ فِي السَّنَةِ الْخَامِسَةِ، وَقَدْ قَرِحَ يَقْرَحُ قَرَحاً، وأَقْرَحَ وَهُوَ أَقْرَحُ وَهِيَ قَرْحاءُ؛ وَقِيلَ: الأَقْرَحُ الَّذِي غُرَّته مِثْلُ الدِّرْهَمِ أَو أَقل بَيْنَ عَيْنَيْهِ أَو فَوْقَهُمَا مِنَ الْهَامَةِ. يُنظر السابق ٢/ ٥٦٠.

تبكي الخنساء في الأبيات السابقة أخاها صخرا، ويشاركها في بكائها جملة من الأشياء التي ارتبطت بصخر وارتبط بها فكأنما صارت من ذويه وقرابته، ومن هذه الأشياء تلك الخيل التي عرفت قدر صخر، وقد أوردت الخنساء في الأبيات السابقة عددا من صفات الخيل التي تبكي صخرًا، وأول هذه الصفات هي (الراكضات) وهي مأخوذة –كما ذكر ابن منظور– من رَكَضْتُ الفَرَس بِرِجْلِي إِذا اسْتَحْثَثْتَهُ لِيَعْدُوَ، ثُمَّ كَثُرَ حَتَّى قِيلَ رَكَضَ الفَرَسُ إِذا عَدا وَلَيْسَ بالأَصل، وَالصَّوَابُ رُكِضَ الفرَسُ[١]، وكأنما هذه الخيل من كثرة اعتيادها الركض صار الركض صفة ملازمة لها، وثاني هذه الصفات هي (السوابح) والسَّابِحُ مِنَ الْخَيْلِ الَّذي يَمُدُّ يَدَيْهِ فِي الْجَرْيِ سَبْحًا [٢] وهي صفة دالَّة على نجابة هذه الخيل وحسن جريها، ثم تذكر الخنساء صفات أخرى للخيل التي تبكي على صخر وهي: (جَواد بَيِّن العِتقِ قارِح) والجواد مِن جاد الْفَرَسُ أَي صَارَ رَائِعًا يَجُودُ جُودة، بِالضَّمِّ، فَهُوَ جَوَادٌ لِلذَّكَرِ والأُنثى مِنْ خَيْلٍ جِيَادٍ وأَجياد وأَجاويد[٣] ثم إنّ الجواد هذا بيّن العتق ظاهره، تام السن، جميل الشكل، والقارح مِنَ الْخَيْلِ هو الَّذي دَخَلَ فِي السَّنَةِ الْخَامِسَةِ، وَقَدْ قَرِحَ يَقْرَحُ قَرَحًا، وأَقْرَحَ وَهُوَ أَقْرَحُ وَهِيَ قَرْحاءُ؛ وَقِيلَ: الأَقْرَحُ الَّذي غُرَّته مِثْلُ الدِّرْهَمِ أَو أَقل بَيْنَ عَيْنَيْهِ أَو فَوْقَهُمَا مِنَ الْهَامَةِ.[٤]

ومن صفات الخيل التي ذكرتها الخنساء ما جاء في قولها: [٥] (السريع)

يـا مَـن يَـرى مِـن قَومِنـا فارِسًـا ∴ فـي الخَيـلِ إِذ تَعـدو بِـهِ الضـافِيَه

تَحتَـكَ كَبـداءٌ كُمَيـتٌ كَمـا ∴ أُدرِجَ ثَـوبُ اليُمنَـةِ الطاوِيَـه

(١) يُنظر لسان العرب لابن منظور ٧/ ١٥٩.
(٢) يُنظر السابق ٢/ ٤٧١.
(٣) يُنظر السابق ٣/ ١٣٦.
(٤) يُنظر السابق ٢/ ٥٦٠.
(٥) ديوان الخنساء ص ١٤٧، ١٤٨.

أوردت الخنساء في الأبيات السابقة ثلاث صفات لخيل صخر التي أعدها لخوض غمرات الحروب، وأول هذه الصفات هي: (الضافية) وهي صفة جسدية تدل على جمال هذه الخيل وحسنها، وثاني هذه الصفات هي: (كبداء) وهي الفرس عظيمة البطن وهي صفة دالَّة على ضخامة هذه الخيل وقوتها، وثالث صفات هذه الخيل هي: (كميت) وهي صفة جسدية تدل على لون هذه الخيل وَهِيَ حُمْرة يَدْخُلُها قُنُوءٌ، ولعلك ترى أنَّ خيل صخر هذه جمعت بين صفات الجمال والقوة ولمثل هذه الصفات تُقتنى الخيل وتُربَّى.

وتقول الخنساء في وصف الخيل أيضا: [١] (الطويل)

عَلَى كُلِّ جَرداءِ النُسالَةِ ضامِرٍ ∴ بِآخِرِ لَيلٍ ما ضُفِزنَ الحَدائِدا[٢]

والبيت السابق أتى في إطار تحريض الخنساء قومها بني سُليم على الأخذ بثأر أخيها معاوية، وهي تصف لهم الخيل التي يجب عليهم أن يركبوها للإغارة على عدوهم الَّذي استعد لهم، وأول هذه الصفات أن تكون خيلهم (جرداء) وهي التي قصر شعرها وذلك من علامات العتق والكرم، ثم تأتي الصفة الثانية (ضامر) وهي صفة دالَّة على خفة هذه الخيل وسرعتها، ولم تكتف الخنساء بذلك وإنما ذكرت لقومها أفضل وقت ليغيروا فيه على أعدائهم، وهو آخر الليل الَّذي يأخذ فيه النومُ العدو فتحدث لهم المفاجأة، وكأنك حين تقرأ هذا البيت تشعر أنك أمام فارس مغوار ألف الخيل والحروب، لا أمام امرأة شاعرة مرهفة الحس، رقيقة المشاعر.

---

(١) ديوان الخنساء ص ٣٢.

(٢) والأَجْرَدُ مِنَ الخيلِ والدوابِّ كلِّها: القصيرُ الشعرِ حَتَّى يُقَالَ إِنه لأَجْرَدُ الْقَوَائِمِ، وَفَرَسٌ أَجْرَدُ: قَصِيرُ الشَّعْرِ، وَقَدْ جَرِدَ وانْجَرَدَ، وَذَلِكَ مِنْ عَلَامَاتِ العِتْق والكَرَم. يُنظر لسان العرب لابن منظور ٣/ ١١٦، كَبْشُ القومِ: رئيسُهم وسيِّدُهم، وَقِيلَ: كَبْش القومِ حامِيتُهم والمنظورُ إِليه فِيهِمْ. يُنظر السابق ٦/ ٣٣٨.

وتقول الخنساء في وصف فرس أخيها صخر: [1] (البسيط)

يَعـــدو بِـــهِ ســـابِحٌ نَهـــدٌ مَراكِلُـــهُ ∴ مُجَلبَـــبٌ بِسَـــوادِ اللَيـــلِ جِلبابـــا[2]

إنه فرس كريم يُجيد العدو والجري فلا تشعر بعسر في جريه، كما أنه فرس جَسِيمٌ مُشْرِفٌ، وَاسِعُ الْجَوْفُ، وهو أسود اللون، فهذا الخيل اجتمع فيه حسن عدْوِه، وعِظم جسمه وضخامته، وسواد اللون، وهو لون محبب ومفضل في الخيل. [3]

ومن الصفات التي ذكرتها الخنساء للخيل: [4] (البسيط)

وَرُبَّ ثَغـــرٍ مَهـــولٍ خُضـــتَ غَمرَتَـــهُ ∴ بِالمُقرَبـــاتِ عَلَيهـــا الفِتيَـــةُ الصِّـــيدُ[5]

---

(١) ديوان الخنساء ص ٧.

(٢) سابِحٌ: السَّابِحُ مِنَ الْخَيْلِ الّذي يَمُدُّ يَدَيْهِ فِي الْجَرْيِ سَبْحاً. يُنظر لسان العرب لابن منظور ٢/ ٤٧١، نَهدٌ: جَسِيمٌ مُشْرِفٌ. يُنظر السابق ٣/ ٤٢٩، مَراكِلُهُ: المَرْكَل مِنَ الدَّابَّةِ: حَيْثُ تُصيب برِجْلك، ومَرَاكِلُ الدَّابَّةِ حَيْثُ يَرْكُلها الْفَارِسُ بِرِجْلِهِ إِذا حَرَّكَهُ للرَّكْض، وَهُمَا مَرْكَلان أَي أَنه وَاسِعُ الْجَوْفُ عَظِيمُ الْمَرَاكِلِ، والمَرْكَلانِ مِنَ الدَّابَّةِ: هُمَا مَوْضِعَا القُصْرَيَيْن مِنَ الْجَنْبَيْنِ، وَلِذَلِكَ يُقَالُ فَرَس نَهْدُ المَرَاكِل. يُنظر السابق ١١/ ٢٩٤.

(٣) روى الإمام أحمد في مسنده أن النبي ﷺ قال: "خَيْرُ الْخَيْلِ الْأَدْهَمُ، الْأَقْرَحُ، الْأَرْثَمُ المُحَجَّلُ ثَلَاثٍ، مُطْلَقُ الْيَمِينِ، فَإِنْ لَمْ يَكُنْ أَدْهَمَ، فَكُمَيْتٌ عَلَى هَذِهِ الشِّيَةِ" مسند الإمام أحمد بن حنبل تحقيق: شعيب الأرنؤوط ٣٧/ ٢٥٣ – طبعة مؤسسة الرسالة – الطبعة الأولى- عام ١٤٢١ هـ / ٢٠٠١ م.

(٤) ديوان الخنساء ص ٤١.

(٥) المقربات: الخيلُ المُقْرَبة الَّتِي تَكُونَ قَرِيبةً مُعَدَّةً، والمُقْرَباتُ مِنَ الْخَيْلِ: الَّتِي ضُمِّرَت للرُّكوب، والمُقْرَب مِنَ الْخَيْلِ: الَّتِي تُدْنَى، وتُقَرَّبُ، وتُكَرَّمُ، وَلَا تُتْرَكُ أَن تَرُودَ؛ قَالَ ابْنُ دُرَيْدٍ: إِنما يُفْعَلُ ذَلِكَ بالإِناث، لِئَلَّا يَقْرَعَها فَحْلٌ لَئِيمٌ. يُنظر لسان العرب لابن منظور ١/ ٦٦٥، الصِّيدُ جَمْعُ الأَصْيَدِ، وَقَالَ اللَّيْثُ وَغَيْرُهُ: الصَّيَدُ مصْدَر الأَصْيَد، وَهُوَ الَّذِي يَرْفَعُ رأْسه كِبْراً؛ وَمِنْهُ قِيلَ للمَلِك: أَصْيَدُ لأَنه لَا يَلْتَفِتُ يَمِينًا وَلَا شِمَالًا. يُنظر السابق ٣/ ٢٦٢.

والبيت في رثاء أخيها صخر، ورب للتكثير، والخنساء تتذكر شجاعة أخيها صخر وشدة بأسه، وأصالة خيله، فهو وفتيته الذين يعينونه في الحرب شجعان، ويمتطون خيلا كراما واختارت الخنساء هنا لفظة واحدة لوصف هذه الخيل وهي كلمة (المقربات) ولكن هذه الكلمة تحتمل عدة معان لصفات الخيل الجسدية والمعنوية، وكلها تدل على نجابة هذه الخيل فمن الصفات الجسدية التي تدل عليها هذه الكلمة الضمور وهي صفة تدل على نشاط هذه الخيل وخفتها، ومن الصفات المعنوية التي تدل عليها هذه الكلمة أن هذه الخيل تَكُونَ قَرِيبةً مُعَدَّةً مكرمة مصونة من أن يقربها فحل لئيم لئلا يأتي نسلها لئيما، وهذه الخيل يمتطيها رجال كرام ذوو أنفة وكبرياء، والخنساء تريد أن تقول إنَّ أخاها صخرا شجاع كريم ذو أنفة وإباء فناسبه أن يرأس قوما كرماء ويمتطون خيلا كريمة مصونة.

وتقول الخنساء واصفة خيل العدو: [١] (المتقارب)

وَخَيـــــلٍ تَكَـــــدَّسُ بِالـــــدَّارِعينَ ∴ وَتَحـــتَ العَجاجَـــةِ يَجمِـــزنَ جَمـــزا[٢]

تصف الخنساء خيل أعداء قومها وعليها فرسانها لابسو الدروع، وتصف الخنساء خيل عدوها بصفات متعددة: فهي خيل كثيرة سريعة المشي (تكدَّس) وهي تعدو بفرسانها (يَجمِزنَ جَمزا).

يتضح مما سبق أنَّ الخنساء ذكرت الكثير من صفات الخيل الجسدية والمعنوية، وهذه الصفات تشبه في مجملها صفات صخر، وقد جاءت هذه الصفات مناسبة للمقام، مما يدل على تمكن الشاعرة ومعرفتها الدقيقة بصفات الخيل.

---

(١) ديوان الخنساء ص ٨٢.

(٢) التَكَدُّس: السُّرْعَةُ فِي الْمَشْيِ، وتكدَّست الْخَيْلُ إِذا ازْدَحَمَتْ وَرَكِبَ بَعْضُهَا بَعْضًا. يُنظر لسان العرب لابن منظور ٦/ ١٩٢، العَجَاج: الغُبار، وَقِيلَ: هُوَ مِنَ الْغُبَارِ مَا ثَوَّرَتْه الرِّيحُ. يُنظر السابق ٢/ ٣١٩، الجَمَزَ: عَدْوٌ دُونَ الحُضْر الشَّدِيدِ وَفَوْقَ العَنَق. يُنظر السابق ٥/ ٣٢٣.

المحور الثاني: الخيل والصورة الأدبية:

تُعد الصورة الأدبية من أهم الأدوات الفنية التي ينبغي على الأديب أن يتقنها، والصورة الأدبية كما يعرفها الدكتور علي صبح: "هي التركيب القائم على الإصابة في التنسيق الفني الحي لوسائل التعبير التي ينتقيها وجود الشاعر -أعني خواطره ومشاعره وعواطفه- المطلق من عالم المحسات؛ ليكشف عن حقيقة المشهد أو المعنى في إطار قوي تام محس مؤثر، على نحو يوقظ الخواطر والمشاعر في الآخرين"(١)

وتلعب الصورة الأدبية دورا كبيرا في نقل تجربة الشاعر إلى المتلقي، وكلما كان الشاعر قادرا على خلق صور معبرة عن مكنون نفسه كان شعره أكثر وقعا في نفس المتلقي، يقول الأستاذ أحمد الشايب: "والمسألة هي كيف أبعث في نفسك عاطفة كالتي في نفسي؟! إذا كنت معجبا أو محبا، أو متحمسا، كيف أثير في نفسك روعة الإعجاب أو لوعة الحب أو لهيب الحماسة؟! ذلك ممكن بأن أُسلم إليك الباعث الَّذي أثار عاطفتي لعله أن يُثير مثلها في نفسك، فأعطيك هذه الوردة التي أعجبتني لتعجبك أيضا، ولكن ليس من الفنون ما يتخذ هذه الوسيلة المباشرة ليهيج بها المشاعر، ولعل الأدب أبعدها جميعا عن سلوك هذا السبيل، لذلك كان مضطرا أن يلجأ إلى وسائل أخرى غير مباشرة ليوقظ بها النفوس ويهيج العواطف، وهذه الوسائل التي يحاول بها الأديب نقل فكرته وعاطفته معا إلى قُرَّائه أو سامعيه تُدعى الصورة الأدبية"(٢)

---

(١) الصورة الأدبية تأريخ ونقد للدكتور علي علي صبح ص ١٥١ -طبعة دار إحياء الكتب العربية-دون ذكر رقم الطبعة وسنة الطباعة.

(٢) أصول النقد الأدبي للأستاذ أحمد الشايب ص ٢٤٢ -طبعة مكتبة النهضة المصرية- الطبعة العشرة- ١٩٩٤ م.

وإذا نظرنا إلى تصوير الخنساء للخيل يستبين لنا أنها أجادت في تصوير الخيل تصويرا يكشف عن دراية كبيرة بأحوال الخيل، ومعرفة دقيقة بصفاتها وخصالها، ومن ذلك قولها:[١] (الطويل)

وَمَبثوثَـــةٍ مِثـــلَ الجَـــرادِ وَزَعتَهـــا ∴ لَهـــا زَجَـــلٌ يَمـــلا القُلـــوبَ مِـــنَ الـــذُعرِ[٢]

صَـــبَحتَهُمُ بِالخَيـــلِ تَـــردي كَأَنَّهـــا ∴ جَـــرادٌ زَفَتـــهُ ريـــحُ نَجـــدٍ إِلـــى البَحـــرِ[٣]

تصف الخنساء في هذه الأبيات تلك الخيل التي امتثلت لصخر أخيها، وهي خيل كثيرة تضاهي الجراد في كثرته وخفة حركته، وهذه الخيل ليست خيلا كسائر الخيل وإنما هي خيل مدربة تشارك صخرا في إخافة العدو وهزيمته، فصوتها يملأ قلوب الأعادي ذعرا، وانظر إلى قولها: (يملأ) فلم تقل الخنساء يُدخل أو يصيب وإنما اختارت يملأ فإذا كان صوت هذه الخيل يملا قلوب العدو ذعرا وخوفا فكيف بفرسان هذه الخيل؟! وكيف بقائد فرسانها صخر؟! ثم تقول الشاعرة: (صبحتهم) وهذا هو وقت الإغارة المفضلة عند العرب قديما لأنه ساعة سكون العدو، وانظر إلى إصرار الشاعرة على الاستطراد في ذكر الخيل وكان يمكنها أن تنتقل لذكر فرسان الخيل ولكنها أبت ذلك فلم تتطرق كثيرا لذكر الفرسان وكأنها أرادت أن تفرد صخرا أخاها بهذا الحديث وألا تشرك في ذلك سوى خيله التي تشبهه كثيرا، وهذا يدل على أن هناك رابطًا قويًا بين صخر وبين خيله، ربما يكون هذا الرابط هو عراقة أصلهم،

---

(١) ديوان الخنساء ص ٥١، ٥٢.

(٢) مبثوثة: من بَثَّ الشيءَ والخَبَرَ يَبُثُّه ويَبِثُّه بَثّاً، وأَبَثَّه، بِمَعْنَى، فانْبَثَّ: فَرَّقه فتَفَرَّقَ، ونَشَره؛ وَكَذَلِكَ بَثَّ الخيلَ فِي الْغَارَةِ يَبُثُّها بَثّاً فانْبَثَّتْ. يُنظر لسان العرب لابن منظور ٢/ ١١٤، الزجل: الجَلَبة ورَفْع الصَّوْتِ. السابق ١١/ ٣٠٢.

(٣) تردي: من رَدَت الخَيْلُ رَدْياً ورَدَياناً إذا رَجَمَت الأَرضَ بحَوافِرِها فِي سَيْرِها وعَدْوِها. يُنظر السابق ١٤/ ٣١٨.

ونجابتهم، وعلو همتهم، وهذه الخيل ليست كثيرة كالجراد فحسب، ولو قالت جرادا فقط لكان الكلام تاما، ولكنها أرادت وصفًا زائدًا على وصفها السابق فأتمته بقولها: زفته ريح نجد، فهذا الجراد مع كثرته، وخفة حركته، وسرعته، وضموره كانت الريح تدفعه دفعا حتى يبلغ مراده ويحقق هدفه، فأضافت هذه الريح سرعة إلى سرعة الجراد، وأنت ترى صورة بديعة ممتدة تعاضدت عوامل كثيرة على تشكيلها من صوت وحركة ومكان حتى كأنك تشاهد المعركة بعينيك.

وتقول الخنساء: [1] (البسيط)

وَابكيهِ لِلخَيلِ تَحتَ النَقعِ عابِسَةً ∴ كَأَنَّ أَكتافَها عُلَّت بِجِرْيَالِ[2]

يَذودُها عَن حِمامِ المَوتِ ذائِدَةٌ ∴ كَاللَيثِ يَحمي عَرينَاً دونَ أَشبالِ

ترسم الخنساء في البيتين السابقين صورة دامية للخيل في غمار المعارك مبرزة كثرة ما أصابها من طعن وما سال منها من دماء حتى إنك إذا طالعتها خُيّل لك أنها صبغت بهذا الصبغ الأحمر، وهذه الصورة تبرز شجاعة وإقدام خيل صخر وقومه التي لا ترى في المعارك إلا عابسة أي متجهمة لعدوها أو فاتحة أفواهها من شدة الطعن وكثرة الجراح وكلا الأمرين جائزين، والخنساء تستثير نفسها بهذه الذكريات لتزيد في بكائها على أخيها صخر الَّذي كان حامية لبني قومه وخيولهم، وكان يذود عنهم كما يذود الأسد عن عرينه ويدافع عن أشباله لا يشركهم معه في القتال.

وتقول الخنساء: [3] (السريع)

---

(١) ديوان الخنساء ص ١٠٩.

(٢) النقْعُ: الغُبارُ الساطِعُ. يُنظر لسان العرب لابن منظور ٨/ ٣٦٢، عابسة: من عَبَّسَ تَعْبِيساً، فَهُوَ مُعَبِّسٌ وعَبَّاسٌ إِذا كَرَّه وَجْهَهُ، شُدِّدَ لِلْمُبَالَغَةِ، فإِن كَشَرَ عَنْ أَسنانه فَهُوَ كالِحٌ، وَقِيلَ: عَبَّسَ كَلَحَ. يُنظر السابق ٦/ ٣٣٨، والجِرْيال: صِبْغ أَحمر. يُنظر السابق ١١/ ١٠٩.

(٣) ديوان الخنساء تحقيق الدكتور أنور أبي سويلم ص ١٥٩ وما بعدها.

وَصـــاحِبٍ -قُلْـــتُ لَـــهُ- صـــالحٍ ∴ إِنَّـــــكَ لِلخَيـــــلِ بِمُســـــتَمطِرِ[١]

إِنَّـــــكَ راعٍ لجَميـــــعٍ فـــــإِنْ ∴ أوفَيـــــتَ أَعلـــــى مَرقَـــــبٍ فَـــــانظُرِ

فَـــأَولِجَ السَـــوطَ عَلـــى حَوشَـــبٍ ∴ أَجـــرَدَ مِثـــلِ الصَـــدَعِ الأَعفَـــرِ[٢]

فَمَـــالَ فـــي الشـــدِّ حَثيثًـــا كمـــا ∴ مـــالَ نضـــيُّ الرَجُـــلِ الأَعسَـــرِ[٣]

تأتي هذه الأبيات في إطار تحذير الخنساء لأخيها صخر أو لشخص غيره من بني سُليم جعلوه ربيئة لهم، والربيئة هُوَ الْعَيْنُ والطَّلِيعةُ الَّذي يَنْظُرُ لِلْقَوْمِ لِئَلَّا يَدْهَمَهُم عدُوّ[٤] وأصل الكلام: ورب صاحب صالح قلت له، والأبيات تدل على أنَّ الخنساء وإن كانت امرأة فإنها ذات همة عالية كهمم الرجال، وهي تحمل هموم قومها فتنصح هذا الربيئة بأن يأخذ حذره حتى لا يهلك فيهلك قومه بهلاكه، وكأنَّ هذا الربيئة سمع كلامها فبقي يقظا فلما رأى خيل العدو عاد مسرعا محذرا قومه بني سليم، ثم ترسم الخنساء صورة مشرقة لفرس الربيئة هذا فهو فرس فتِيٌّ ضامر البطن قصير الشعر

---

(١) مستمطر: أي متعرض للخيل، ويقال: لَا تَسْتَمْطِرِ الْخَيْلَ أَي لَا تَعْرِضْ لَهَا، وتَمَطَّرَتِ الخيلُ: ذَهَبَتْ مُسْرِعَةً. وَجَاءَتْ مُتَمَطِّرة أَي جَاءَتْ مُسْرِعَةً يَسْبِقُ بَعْضُهَا بَعْضًا. يُنظر لسان العرب لابن منظور ٥/ ١٧٩.

(٢) الحَوْشَبُ: الضَّامِرُ، والحَوْشَبُ: عَظِيمُ البَطْنِ، جَعَلَهُ بعضهم مِنَ الأَضداد. يُنظر لسان العرب لابن منظور ١/ ٣١٨، الصدع: الفَتِيُّ الشابُّ القَوِيُّ من الأَرْعال والظِّباء والإِبل والحُمُرِ. يُنظر السابق ٨/ ١٩٦، والأَعْفَر مِنَ الظِّبَاءِ: الَّذِي تَعْلو بياضَه حُمْرَةٌ، وَقِيلَ: الأَعْفَرُ مِنْهَا الَّذِي فِي سَرَاتِه حُمْرةٌ وأَقرابُه بِيضٌ. يُنظر السابق ٤/ ٥٨٥.

(٣) الحثيث: السَّيْرُ الَّذِي لَا وَتِيرة فِيهِ. يُنظر السابق ٢/ ١٣٠، النَّضِيُّ: نَصْلُ السَّهْمِ. يُنظر السابق ١٥/ ٣٣١، الأَعْسَر: هُوَ الَّذِي يَعْمَلُ بِيَدِهِ اليُسْرَى، يُقَالُ: لَيْسَ شَيْءٌ أَشَدُّ رَمْياً مِنَ الأَعْسَرِ. يُنظر السابق ٤/ ٥٦٥.

(٤) يُنظر السابق ١/ ٨٢.

جميل اللون تعلو بياضَه حُمرةٌ وهذه صفات الفرس الكريم؛ ولكرامة هذا الفرس ونجابته استجاب لأمر صاحبه لمَّا استحثه ليبلغ قومه، فذهب هذا الفرس مسرعا يُشبه في سرعته ودقته وخفته هذا السهم الَّذي رماه رام أعسر فانطلق بأسرع ما يكون، واختارت الرامي بالأعسر؛ لأنه أشد رميا من غيره.

وتقول الخنساء مصورة خيل العدو: [1] (السريع)

يا ضارِبَ الفارِسِ يَومَ الوَغى ∴ بِالسَيفِ في الحَومَةِ ذاتِ الأُوار[2]

يَردي بِهِ في نَقعِها سابِحٌ ∴ أَجرَدُ كَالسِرحانِ ثَبتُ الحِضار[3]

نازَلتَ أَبطالاً لَها ذادَةً ∴ حَتّى ثَنَوا عَن حُرُماتِ الذِمار[4]

تصور الخنساء في الأبيات السابقة خيل أعداء صخر، فصخر يختار أعداءه بعناية فائقة فلا يختار إلا الفارس المغوار لينازله وهذا الفارس يقارب صخرا في صفاته وفي هذا نفسه مديح لصخر حيث يختار من يشابهونه في قوته وبأسه

---

(١) ديوان الخنساء ص ٦٩.

(٢) الحومة: حَوْمةُ كُلِّ شَيْءٍ: مُعْظَمُهُ، وحَوْمَةُ الْقِتَالِ: مُعْظَمُهُ وأَشدُّ موضعٍ فِيهِ. يُنظر لسان العرب لابن منظور ١٢/ ١٦٢، الأُوارُ، بِالضَّمِّ: شدَّةُ حُرِّ الشَّمْسِ وَلَفْحُ النَّارِ وَوَهَجُهَا والعطشُ، وَقِيلَ: الدُّخان واللَّهَبُ. يُنظر السابق ٤/ ٣٥.

(٣) سابِحٌ: يَسْبَحُ بِيَدَيْهِ فِي سَيْرِهِ. يُنظر السابق ٢/ ٤٧٠، الأَجْرَدُ مِنَ الخيلِ والدوابِّ كلِّها: القصيرُ الشعرِ حَتَّى يُقَالَ إِنه لأَجْرَدُ الْقَوَائِمِ. وَفَرَسٌ أَجْرَدُ: قَصِيرُ الشَّعْرِ. يُنظر السابق ٣/ ١١٦، السِّرْحان الذِّئبُ. يُنظر السابق ٢/ ٤٨١، الحُضْرُ والحِضارُ مِنْ عَدْوِ الدَّوابِّ وَالْفِعْلُ الإِحْضارُ، واحْتَضَرَ الفرسُ إِذا عَدَا. يُنظر السابق ٤/ ٢٠١.

(٤) الذادة: من الذَّوْد وهو السَّوق وَالطَّرْدُ وَالدَّفْعُ. يُنظر السابق ٣/ ١٦٧، الذِّمارُ: ذِمارُ الرَّجُلِ وَهُوَ كُلُّ مَا يَلْزَمُكَ حِفْظُهُ وَحِيَاطَتُهُ وَحِمَايَتُهُ وَالدَّفْعُ عَنْهُ وإِن ضَيَّعه لَزِمَهُ اللَّوْمُ. يُنظر السابق ٤/ ٣١٢.

ونجابته وكرمه، وهذا الفارس أيضا يمتطي جوادا كريما سابحا يشبه الذئب في عدوه وضموره وهذا مما يستجاد في الفرس ثم تتمم البيت بقولها: ثبت الحضار تأكيدا لنجابة هذا الفرس حتى لا يظن ظان أن سرعة عدوه هذه ربما تدفعه ليتعثر وهذا الوصف لخيل عدو صخر هو من الإنصاف.

المحور الثالث: الخيل وموسيقا القصيدة:

للموسيقا الشعرية دور عظيم في جذب انتباه المتلقي، وإثارة وجدانه بما تبثه من حياة في الكلام، يقول الدكتور إبراهيم أنيس وموسيقى الشعر هي التي تزيد الانتباه، وتضفي على الكلمات حياة فوق حياتها، وتجعلنا نحس بمعانيها كأنما تمثل أمام أعيننا تمثيلا عمليا واقعيا، وتهب الكلام مظهرا من مظاهر العظمة والجمال، وتجعله مصقولا مهذبا تصل معانيه إلى القلب بمجرد سماعه، وتهب الكلام مظهرا من مظاهر العظمة، وتجعله مصقولا مهذبا تصل معانيه إلى القلب بمجرد سماعه، وكل هذا مما يثير الرغبة في قراءته وإنشاده.(١)

ويقول الدكتور عثمان موافى "وليست أهمية الوزن مقصورة على هذه الصلة الوثيقة بين الشعر العربي والنظم وبين اللغة والوزن وحسب، ولكنها تتعدى ذلك إلى ناحية فنية تتعلق بمدى ما يتركه الفن الشعري من تأثير في نفوس سامعيه وعقولهم بفضل هذا العنصر الموسيقي"(٢)

ويقول الدكتور محمود عسران مبينا دور النغم والإيقاع في إبراز المشاعر والانفعالات: "والنَّغم الجيد على ما أرى إنما هو ترجمان العاطفة الصادقة، وكلما وجدت للإيقاع في النفس تأثيرا وكلما أحسست للنغم أثرا، أيقنت أنَّ وراء التعبير عاطفة دافقة لأن العاطفة تستدعي من الكَلِم المنَّغم ما يناسبها"(٣)

---

(١) يُنظر موسيقى الشعر للدكتور/ إبراهيم أنيس ص ١٤ بتصرف – مكتبة الأنجلو المصرية للطبع والنشر – الطبعة الثانية – ١٩٥٢ م.

(٢) في نظرية الأدب من قضايا الشعر والنثر في النقد العربي الحديث للدكتور عثمان موافى ٢/ ٤٧ – طبعة دار المعرفة الجامعية– مصر ٢٠٠٠ م.

(٣) البنية الإيقاعية في شعر شوقي للدكتور/ محمود عسران ص ٤٣٥ –مطبعة بستان المعرفة بمصر– ٢٠٠٦ م.

وقد استطاعت الخنساء أن تُوظف موسيقاها في الكشف عن مشاعرها وانفعالاتها إزاء الخيل، تقول الخنساء واصفة خيل العدو في مواجهة أخيها:[١] (المتقارب)

ذَكَرتُ أَخي بَعدَ نَومِ الخَلِيِّ ∴ فَانحَدَرَ الدَمعُ مِنّي انحِدارا

وَخَيلٍ لَبِستَ لِأَبطالِها ∴ شَليلاً وَدَمَّرتَ قَوماً دَمارا[٢]

تَصَيَّدُ بِالرُمحِ رَيعانَها ∴ وَتَهتَصِرُ الكَبشَ مِنها اهتِصارا[٣]

فَأَلحَمتَها القَومَ تَحتَ الوَغى ∴ وَأَرسَلتَ مُهرَكَ فيها فَغارا

يَقين وَتَحسَبُهُ قافِلًا ∴ إِذا طابَقَت وَغَشينَ الحِرارا[٤]

فَذَلِكَ في الجَدِّ مَكروهُهُ ∴ وَفي السِلمِ تَلهو وَتُرخي الإِزارا

---

(١) ديوان الخنساء ص ٥٤.

(٢) الشَّلِيلُ: الغِلالة الَّتِي تُلْبَسُ فَوْقَ الدِّرْع، وَقِيلَ: هِيَ الدِّرْع الصَّغِيرَةُ الْقَصِيرَةُ تَكُونُ تَحْتَ الْكَبِيرَةِ، وَقِيلَ: تَحْتَ الدِّرْع مِنْ ثَوْبٍ أَو غَيْرِهِ، وَقِيلَ: هِيَ الدِّرْع مَا كَانَتْ. يُنظر لسان العرب لابن منظور ١١/ ٣٦٢.

(٣) ريعانها: رَيْعُ كلِّ شَيْءٍ ورَيْعانُه: أَوَّلُه وأَفْضَلُه. يُنظر السابق ٨/ ١٣٩، الكبش: كَبْشُ القومِ: رئيسُهم وسيِّدُهم، وَقِيلَ: كَبْش القومِ حامِيتُهم والمنظورُ إليه فِيهِمْ. يُنظر السابق ٦/ ٣٣٨، الهَصْرُ: الكسْرُ. هَصَرَ الشيءَ يَهْصِرُه هَصْراً: جَبَذَه وأَماله، وهَصَرْتُ الشَّيْءَ ووَقَصْتُه إذا كَسَرْتَهُ. يُنظر السابق ٥/ ٢٦٤.

(٤) يقين: يقال فَرَسٌ واقٍ إِذا كَانَ يَهابُ المشيَ مِنْ وَجَع يَجِده فِي حافِره، وَقِيلَ: فَرَسٌ واقٍ إِذا حَفِيَ مِنْ غِلَظِ الأَرضِ ورِقَّةِ الحافِرِ فَوَقَى حافِرُه الْمَوْضِعَ الْغَلِيظَ. يُنظر السابق ١٥/ ٤٠٥، القافل: الفرس إذا ضَمَر. يُنظر السابق ١١/ ٥٦٢، الحرار: جمع الحَرَّة وهي أَرض ذَاتُ حِجَارَةٍ سُودٍ نَخِرَةٌ كأَنما أُحرقت بِالنَّارِ. يُنظر السابق ٤/ ١٨٠.

والأبيات كما هو ظاهر ترسم صورة دقيقة لمرحلة من مراحل الحرب بين صخر وأعدائه، وإن شئت فقل بين صخر وفرسه من ناحية وبين أعداء صخر وخيلهم من ناحية أخرى، وقد جاءت الأبيات على بحر المتقارب وهو كما يقول الدكتور المجذوب: بحر بسيط النغم، مطرد التفاعيل، منساب، طبلي الموسيقى، ويصلح لكل ما فيه تعداد الصفات، وسرد للأحداث في نسق مستمر. (١)

وقد اختارت الخنساء حرف الراء رويا لقصيدتها وهو من أكثر الحروف تكرارًا في هذه الأبيات فقد كررته الشاعرة ست عشرة مرة منها ست مرات رويًا وعشر مرات في غير الروي، وحرف الراء كما يقول الدكتور عبده بدوي: "من أنصع الأصوات الساكنة في السمع، وهو- عند القدامى- صوت ذلقي، شبيه بأصوات اللين، كما أنَّ صورته في التراث ترتبط بصورة الهلال، وهو من الأصوات المتوسطة بين الشدة والرخاوة، كما أنه صوت مكرر؛ لأن طرف اللسان حين ينطق به يحدث طرقًا لينًا مرة، أو مرتين"(٢) وكأنك تشعر في تكرار هذا الحرف خاصة في آخر البيت بترجيع الشاعرة وأنينها، والناظر في الأبيات يشعر بإحساس الشاعرة المضطرب بين فخر بشجاعة أخيها صخر وحزن عليه ففي الوقت الّذي تكاد ترى فيه صورة المعركة، وتسمع صهيل الخيل وجلبتها، ووقع أقدامها، تشعر بهذا الحزن والألم النفسي الّذي سيطر على الشاعرة وإن كانت تحاول إخفاءه تحت افتخارها بقوة وشجاعة أخيها صخر،

(١) يُنظر المرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعتها للدكتور عبد الله الطيب المجذوب ١/ ٣٨٣ – مطبعة حكومة الكويت- ١٤٠٩ هـ/ ١٩٨٩ م.

(٢) دراسات في النص الشعري العصر العباسي د/ عبده بدوي ص ١٠٧ – مطبعة مكتبة الشباب – القاهرة – ١٩٧٧ م.

وأكثر ما تلحظ فيه هذا الحزن إتيانها بحرف الألف ردفا ووصلا [١] وكأنك تشعر في نهاية كل بيت بهذا النفس الخارج من الشاعرة يحمل معه الألم والحزن، ناهيك عن بعض المحسنات البديعية التي اتكأت عليها الشاعرة في تشكيل موسيقاها والتي تسترعي أذن السامع وقلبه كالجناس الاشتقاقي[٢] في قولها: (فانحدر انحدارا، دمرت دمارا، تهتصر اهتصارا) وهذا الأسلوب مع ما يحمله من تأكيد للمعنى أحدث جرسا موسيقيا يجعل المتلقي دائم التيقظ والتشوق.

وتصور الخنساء حالها وحال خيل أخيها صخر فتقول: [٣] (البسيط)

يا عَينِ ما لَكِ لا تَبكينَ تَسكابا ∴ إِذ رابَ دَهرٌ وَكانَ الدَهرُ رَيّابا[٤]

فَابكي أَخاكِ لِأَيتامٍ وَأَرمَلَةٍ ∴ وَابكي أَخاكِ إِذا جاوَرتِ أَجنابا[٥]

وَابكي أَخاكِ لِخَيلٍ كَالقَطا عُصَبًا ∴ فَقَدنَ لَمّا ثَوى سَيبًا وَأَنهابا[٦]

---

(١) الردف: هو حرف المد أو اللين الّذي يسبق حرف الروي دون فاصل. البناء العروضي للقصيدة العربية للدكتور/ محمد حماسة عبد اللطيف ص ٢٠٠ – طبعة دار الشروق – مصر– الطبعة الأولى– ١٤٢٠ هـ / ١٩٩٩ م، الوصل: هو الحركة الطويلة الناتجة عن إشباع حركة الروي. السابق ص ١٩٦.

(٢) الجناس الاشتقاقي: هو أن تتفق الكلمتان في معنى واحد يجمعهما. يُنظر الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز ليحيى بن حمزة الحسيني العلويّ الطالبي ٣/ ١٩٥ –المكتبة العنصرية – بيروت – الطبعة الأولى– ١٤٢٣ هـ.

(٣) ديوان الخنساء ص ٧.

(٤) تسكابا: من سَكَبَ الدَّمْعَ يَسْكُبُه سَكْباً وتَسْكاباً صَبَّه فانْصَبَّ. يُنظر لسان العرب لابن منظور ١/ ٤٦٩.

(٥) أجنابا: أي غرباء من رَجل جانِب وجُنُب أي غَرِيبٌ. يُنظر السابق ١/ ٢٧٧.

(٦) والقَطَا: طَائِرٌ مَعْرُوفٌ. يُنظر السابق ١٥/ ١٨٩، عصبا: العصبة كلُّ جماعةِ رجالٍ وخيلٍ بفُرْسانِها. السابق ١/ ٦٠٥، سيبًا: السَّيْبُ: العَطاءُ، والعُرْفُ، والنافِلةُ، وسَيْبُ الفرَس: شَعَرُ ذَنَبِه. يُنظر السابق ١/ ٤٧٧، أنهابا: جمع النَّهْب وهي الغَنيمة، النَّهْبُ: الغارةُ والسَّلْبُ. يُنظر السابق ١/ ٧٧٣.

يَعــدو بِــهِ ســابِحٌ نَهــدٌ مَراكِلُــهُ ∴ مُجَلبَــبٌ بِسَــوادِ اللَيــلِ جِلبابــا[1]

حَتّــى يُصَــبِّحَ أَقوامــاً يُحــارِبُهُم ∴ أَو يُســلَبوا دونَ صَــفِّ القَــومِ أَســلابا

تصور الخنساء في الأبيات السابقة حالها بعد موت أخيها صخر داعية عينها بأن تُكثر من البكاء وسكب الدموع على هذا الكريم الَّذي كان موته خسارة لذوي الحاجات كالأرامل والأيتام، كما كان موته خسارة فادحة لتلك الخيل الكريمة التي افتقدت صخرا وكانت قبل ذلك مطيته التي تبلغه حاجته، وقد استطاعت الخنساء أن تكشف عن لواعج نفسها وحرقتها على أخيها صخر وتصويرها لخيله من خلال اتكائها على عدة أمور، ومن هذه الأمور اختيارها بحر البسيط لتنظم عليه قصيدتها، والَّذي يقول عنه الدكتور المجذوب: البسيط أخو الطويل في الجلالة والروعة ولا يكاد روح البسيط يخلو من أحد النقيضين: العنف واللين، وتكاد صبغته على وجه الإجمال تكون إنشائية. [2]

ولعلك لحظت كيف صلح (بحر البسيط) لحمل مشاعر الخنساء التي يمتزج فيها حزنها على فراق أخيها صخر مع ذكرها صفاته النجيبة، وأفعاله الحسنة، ووصف خيله الكريمة التي تشبهه في نجابة الأصل، وتمام الصفات، ثم تجدها اختارت حرف الباء رويا وعمدت إلى تكراره اثنتين وعشرين مرة خمس منها في الروي، وحرف الباء

---

(١) سابِحٌ: السَّابِحُ مِنَ الْخَيْلِ الّذي يَمُدُّ يَدَيْهِ فِي الْجَرْيِ سَبْحاً. يُنظر لسان العرب لابن منظور ٢/ ٤٧١، نَهدٌ: جَسِيمٌ مُشْرِفٌ. يُنظر السابق ٣/ ٤٢٩ مَراكِلُهُ: المَرْكَل مِنَ الدَّابَّةِ: حَيْثُ تُصيب برِجْلك، ومَرَاكِلُ الدَّابَّةِ حَيْثُ يَرْكُلها الْفَارِسُ بِرِجْلِهِ إِذا حَرَّكَهُ للرَّكْض، وَهُمَا مَرْكَلان أَي أَنه وَاسِعُ الْجَوْفُ عَظِيمُ الْمَرَاكِلِ، والمَرْكَلانِ مِنَ الدَّابَّةِ: هُمَا مَوْضِعَا الْقُصْرَيَيْنِ مِنَ الْجَنْبَيْنِ، وَلِذَلِكَ يُقَالُ فَرَس نَهْدُ المَرَاكِلِ يُنظر السابق ١١/ ٢٩٤.

(٢) يُنظر المرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعتها للدكتور عبد الله الطيب المجذوب ١/ ٥٠٧ وما بعدها.

حرف مجهور ثم إنها جاءت بالألف ردفا ووصلا بينهما الروي الباء فإذا بك تشعر بجلبة وتأوه نهاية كل بيت، ولنقف عند قولها:

يَعــدو بِــهِ ســابِحٌ نَهــدٌ مَراكِلُــهُ ∴ مُجَلبَــبٌ بِسَــوادِ اللَيــلِ جِلبابــا[1]

لقد كررت الخنساء في هذا البيت حرف الباء سبع مرات، وهذا التكرار أحدث جرسا موسيقيا فخما في هذا البيت وكأنك تسمع جلبة هذا الفرس وصهيله، وترى عَدْوَهُ وسرعته، وتعتمد الخنساء على التكرار في إبراز مشاعرها التي تتداخل فيها لوعتها وحزنها على موت صخر مع افتخارها بما كان يفعله في أعدائه مستعينا بفرسه النجيب، تجد ذلك في قولها: (فَابكي أَخاكِ لِأَيتامٍ وَأَرمَلَةٍ، وَابكي أَخاكِ إِذا جاوَرتِ أَجنابا، وَابكي أَخاكِ لِخَيلٍ كَالقَطا عُصَبًا فقدن...) إنها تكرر طلب البكاء ولكنها تُغيِّر في دواعيه، وكأنها تلاحق بهذا التكرار نفسها لتزيد في البكاء على أخيها، ولا يخفى على القارئ ما يثيره هذا التكرار من جرس موسيقي حزين يشعر به القارئ والمستمع.

يتضح لنا مما سبق قدرة الخنساء على توظيف موسيقاها الشعرية في الكشف عن مشاعرها، وانفعالاتها.

---

(١) سابِحٌ: السَّابِحُ مِنَ الْخَيْلِ الّذي يَمُدُّ يَدَيْهِ فِي الْجَرْيِ سَبْحاً. يُنظر لسان العرب لابن منظور ٢/ ٤٧١، نَهدٌ: جَسِيمٌ مُشْرِفٌ. يُنظر السابق ٣/ ٤٢٩ مَراكِلُهُ: المَرْكَل مِنَ الدَّابَّةِ: حَيْثُ تُصيب برِجْلك، ومَرَاكِلُ الدَّابَّةِ حَيْثُ يَرْكُلها الْفَارِسُ بِرِجْلِهِ إذا حَرَّكَهُ للرَّكْض، وَهُمَا مَرْكَلان أَي أَنه وَاسِعُ الْجَوْفُ عَظِيمُ الْمَرَاكِلِ، والمَرْكَلانِ مِنَ الدَّابَّةِ: هُمَا مَوْضِعَا القُصْرَيَيْن مِنَ الْجَنْبَيْنِ، وَلِذَلِكَ يُقَالُ فَرَس نَهْدُ المَرَاكِل يُنظر السابق ١١/ ٢٩٤.

خاتمة البحث

الحمد لله المُعْطي الوهَّاب، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ومَن والاه.

أمّا بعد

فإنَّ الخنساء شاعرة حذقة استطاعت أن تتبوأ منزلة عالية بين الشعراء، وقد كاد شعرها يقتصر على رثاء أخيها صخر، ولكنه شعر ثَرٍ غني لا يعدم قارؤه أن يخرج بفائدة كلما طالعه، وقد طالعته فظفرت منه بحديث الشاعرة عن الخيل حديثا استرعى انتباهي، ووجدته يستحق البحث والدراسة، وقد انتهيت بفضل الله -ﷻ- من هذا البحث الَّذي تناولت فيه منزلة الخيل عند العرب، ثمّ تحدثت في عجالة عن الخنساء، ثم تناولت أنماط حديثها عن الخيل، ثم تحدثت عن الخيل والتشكيل الفنّي للقصيدة، وبعد هذه الدراسة المتأنية تبيَّن للبحث عدة نتائج وتوصيات أهمها:

- أن وصف الخيل لم ينفرد به الشعراء بل شاركتهم الشواعر في ذلك، وهذا يعكس مكانة المرأة قديما ومشاركتها الرجل اهتماماته، ومعرفتها دقائق أموره وأحواله.
- اطراد حديث الخنساء عن الخيل – في أكثر المواضع- بعد حديثها عن بكاء عينيها.
- جاء حديث الخنساء عن الخيل منوعا ومختلفا، فكان حديثها عن الخيل مصورا لبطولة أخيها وصدى لحزنها.
- ثراء المعجم الشعري عند الخنساء وقد بدا ذلك واضحا في حديثها عن الخيل.
- لم تفرد الخنساء قصيدة بعينها للحديث عن الخيل، وإنما جاء حديثها عن الخيل في ثنايا قصائدها.
- استطاعت الخنساء توظيف الصورة في نقل تجربتها إلى المتلقي.
- أجادت الشاعرة في استخدام موسيقاها الشعرية للتعبير عن مشاعرها وانفعالاتها.

هذا ويوصي البحث بأنْ تتم دراسة صورة الإبل أو الذئب في شعر الخنساء، كما يوصي البحث كذلك بدراسة صورة الخيل عند الشواعر العربيات من العصر الجاهلي حتى نهاية العصر الأموي.

والله من وراء القصد وهو يهدي السبيل

فهرس المصادر والمراجع

أولا القرآن الكريم- جلّ قائله-.

ثانيا: أهم المصادر والمراجع

- الاستيعاب في معرفة الأصحاب لأبي عمر يوسف بن عبد الله النمري القرطبي. تحقيق: علي محمد البجاوي –طبعة دار الجيل – بيروت – الطبعة الأولى: ١٤١٢ هـ/ ١٩٩٢ م.
- أسماء خيل العرب وأنسابها وذكر فرسانها للحسن بن أحمد بن محمد الأعرابي تحقيق: د/ محمّد علي سلطاني –طبعة دار العصماء– دمشق– الطبعة الأولى ١٤٢٧ هـ/ ٢٠٠٧ م.
- الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر تحقيق عادل أحمد عبد الموجود وعلى محمد معوض – طبعة دار الكتب العلمية – بيروت– الطبعة الأولى: ١٤١٥ هـ.
- أصول النقد الأدبي للأستاذ أحمد الشايب –طبعة مكتبة النهضة المصرية– الطبعة العشرة– ١٩٩٤ م.
- الأعلام للزركلي –طبعة دار العلم للملايين– الطبعة الخامسة عشر– عام ٢٠٠٢ م.
- بلاغات النساء لأبي الفضل أحمد بن أبي طاهر ابن طيفور صححه وشرحه: أحمد الألفي – مطبعة مدرسة والدة عباس الأول– القاهرة – ١٣٢٦ هـ/١٩٠٨ م.
- البناء العروضي للقصيدة العربية للدكتور محمد حماسة عبد اللطيف – طبعة دار الشروق – مصر– الطبعة الأولى– ١٤٢٠ هـ / ١٩٩٩ م.
- البنية الإيقاعية في شعر شوقي للدكتور/ محمود عسران –مطبعة بستان المعرفة بمصر– ٢٠٠٦ م.
- التعازي للمبرد تحقيق: إبراهيم محمد حسن الجمل –طبعة نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع– دون ذكر رقم الطبعة وسنة الطباعة.

- جواهر الأدب في أدبيات وإنشاء لغة العرب لأحمد بن إبراهيم بن مصطفى الهاشمي – طبعة مؤسسة المعارف– بيروت.
- الحلبة في أسماء الخيل المشهورة في الجاهلية والإسلام لمحمد بن علي بن كامل الصاحبي التاجي تحقيق د/ حاتم صالح الضامن –طبعة دار البشائر– دمشق– الطبعة الثانية ١٤٣٠ هـ/ ٢٠٠٩ م.
- حياة الحيوان الكبرى للدميري– طبعة دار الكتب العلمية– بيروت الطبعة الثانية: ١٤٢٤ هـ.
- دراسات في النص الشعري – العصر العباسي د/ عبده بدوي – مطبعة مكتبة الشباب – القاهرة – ١٩٧٧ م.
- ديوان الخنساء تحقيق الدكتور أنور أبي سويلم – طبعة دار عمار– الأردن– الطبعة الأولى ١٤٠٩ هـ/ ١٩٨٨ م.
- ديوان الخنساء –طبعة دار صادر– بيروت– الطبعة الثانية ٢٠١٠ م.
- زهر الآداب وثمر الألباب لأبي إسحاق إبراهيم بن علي الحُصري القيرواني –طبعة دار الجيل– بيروت.
- شعر زيد الخيل الطائي جمع وتحقيق ودراسة د/ أحمد مختار البزرة –طبعة دار المأمون– بيروت– الطبعة الأولى: ١٤٠٨ هـ/ ١٩٨٨ م.
- الشعر والشعراء لابن قتيبة– طبعة دار الحديث – القاهرة – ١٤٢٣ هـ.
- صحيح الإمام مسلم، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي –طبعة دار إحياء التراث العربي – بيروت.
- الصورة الأدبية تأريخ ونقد للدكتور علي علي صبح –طبعة دار إحياء الكتب العربية–دون ذكر رقم الطبعة وسنة الطباعة.
- العقد الفريد لابن عبد ربه –طبعة دار الكتب العلمية – بيروت– الطبعة الأولى– عام ١٤٠٤ هـ

- العمدة لابن رشيق تحقيق الشيخ محمد محيي الدين عبد الحميد – طبعة دار الجيل – الطبعة الخامسة: ١٤٠١ هـ /١٩٨١ م.
- في نظرية الأدب من قضايا الشعر والنثر في النقد العربي الحديث للدكتور عثمان موافى – طبعة دار المعرفة الجامعية– مصر ٢٠٠٠ م.
- الكامل للمبرد تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم –طبعة دار الفكر العربي – القاهرة– الطبعة الثالثة ١٤١٧ هـ/ ١٩٩٧ م.
- لسان العرب لابن منظور – دار صادر – بيروت –الطبعة الثالثة– عام ١٤١٤ هـ.
- المرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعتها للدكتور عبد الله الطيب المجذوب– مطبعة حكومة الكويت– ١٤٠٩ هـ/ ١٩٨٩ م.
- مسند الإمام أحمد بن حنبل تحقيق: شعيب الأرنؤوط – طبعة مؤسسة الرسالة – الطبعة الأولى– عام ١٤٢١ هـ / ٢٠٠١ م.
- معجم المؤلفين عمر رضا كحالة –دار إحياء التراث العربي– بيروت.
- مقدمة أنيس الجلساء في شرح ديوان الخنساء للويس شيخو– المطبعة الكاثوليكية– بيروت– الطبعة الأولى– عام ١٩٨٦ م.
- موسيقى الشعر للدكتور/ إبراهيم أنيس – مكتبة الأنجلو المصرية للطبع والنشر – الطبعة الثانية – ١٩٥٢ م.
- نقد الشعر لقدامة بن جعفر – مطبعة الجوائب – قسطنطينية– الطبعة الأولى– ١٣٠٢ هـ.
- الوافي بالوفيات لصلاح الدين الصفدي تحقيق أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى– طبعة دار إحياء التراث – بيروت– عام النشر: ١٤٢٠ هـ– ٢٠٠٠ م.

فهرس الموضوعات

م	الموضـــــــوع	الصفحة
١.	ملخص.	١٧٥
٢.	Abstract.	١٧٦
٣.	مقدمة.	١٧٧
٤.	تمهيد.	١٨٠
٥.	١- مكانة الخيل عند العرب.	١٨٠
٦.	٢-التعريف بالخنساء.	١٨٢
٧.	المبحث الأول: أنماط حديث الخنساء عن الخيل وفيه:	١٨٦
٨.	المحور الأول: خيل صخر وقومه.	١٨٦
٩.	المحور الثاني: خيل العدو.	١٩٩
١٠.	المحور الثالث: بين خيل صخر وخيل أعدائه.	٢٠١
١١.	المبحث الثاني: الخيل والتشكيل الفني للقصيدة وفيه:	٢٠٦
١٢.	المحور الأول: الخيل والمعجم الشعري.	٢٠٦
١٣.	المحور الثاني: الخيل والصورة الأدبية.	٢١١
١٤.	المحور الثالث: الخيل وموسيقا القصيدة.	٢١٧
١٥.	خاتمة.	٢٢٣
١٦.	فهرس المصادر والمراجع.	٢٢٥
١٧.	فهرس الموضوعات.	٢٢٨